

د. أحمد حجي



جندى كرمهري

في جبهة قناة السويس



جنڈی بکاشی

الغلاف والرسوم الداخلية : محمد حجي

جميع الحقوق محفوظة

دار الفكر
للدراسات
والنشر والتوزيع



القاهرة - يارين

القاهرة: ش.م.أ. ليب - رقم ٤٩/٢٥
مدينة نصر - المنطقة الثامنة

منزلہ جندی و مصطفیٰ

د. احمد حجی

إلى أهلي
إلى أصدقائي
إلى كل من أحبهم
أهدي هذه المذكرات
د. أحمد حجي

تقديم

كانت مهمة إعادة بناء الجبهة المصرية على الضفة الغربية لقناة السويس بعد هزيمة يونيو 1967، عملاً أشبه بالمستحيل، ومن هنا كان إنجاز هذه العملية شيئاً أشبه بالمعجزة .

كانت هذه العملية تتم في ظروف قتالية غير متكافئة ، ولا شك أن هذا هو ما ساعد على أن تبنى هذه الجبهة بكفاءة عالية مكنها من أن تتحول بسرعة إلى نذ للجبهة الإسرائيلية المحصنة خلف خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة ، ولأن نقوم بعملية العبور التاريخية فيما بعد في أكتوبر 1973 .. كان يعاد بناء الجبهة بجنود كانت تلك أول تجربة لهم في القتال ، وبأسلحة بعضها غير حديث ، فالأسلحة الحديثة التي وردت من الإتحاد السوفياتي بعد الهزيمة لم يكن قد جرى استيعابها بعد ، وكان جنود آخرون لا يزالون يتدربون على استخدامها .. وتحت قصف مستمر ووحشي من جانب العدو كامل العدة والسلاح ، قوي التحصين ، مرتفع المنويات بعد النصر السريع الذي حققه في سيناء ، وبدون غطاء جوي ، حيث ضرب طيراننا في الساعات الأولى من الحرب ، والطيران الجديد كان الطيارون لا يزالون يتدربون عليه ، ولم يستطيعوا المشاركة به في القتال إلا في مراحل متأخرة ..

منذ أن وصلت إلى جبهة القتال في القطر
الأممي، قلخ عليّ ذاكرتي أن أسجل ما
يحدث وما يجري في مواجهتها للعدو
الصهيوني، والقول حقيقة بأن الذي يكتبه
وما يجري به قلبي ليس إلا الضرر اليسير.
وإذا لم توافيني منيتي لو يدركني الموت
فسوف أصرّ على شعبنا مأساة مقاومته
للعدو، ويطولات جنوده وبسالتهم.. أما
إذا كانت نهائيتي ستكون على أرض اللقاة
فساموت مستريحاً لأن الفكري وجدت
طريقها ولم تعجز عن الحركة.. وبذلك
تكون هذه المذكرات هي حيث الرصاص
الذي يجب أن تتكلّم به قضية شعبنا.

دكتور أحمد حنفي

القنطرة غرب

5 أبريل 1979

الأربعاء ٢ أبريل ١٩٦٩

عندما امتدت أشعة الصباح من خلال النافذة صحت أنا وزميلي الرائد بجواري في الحجرة واتجهنا إلى مكتب السرية .. كان جميع الجنود يرتدون ملابسهم الشتوية ويقفون في صف واحد وأمامهم مهامهم .. علمت ان ذلك هو يوم الرحيل ، في هذا اليوم سنفترق جميعا وعلى الانسان أن يمتلك مشاعره ، لقد عشنا سوياً شهوراً عديدة في هذا المعسكر وأصبحنا أخوة .. سهرنا معا ، تحدثنا عن مصر وعن العدوان وعن بلادنا كلها ، ظللت واقفا في شروء منتظراً أن أسمع إسمي وأن أعرف مكاني الجديد، كنت قد اخترت التوجه إلى المنطقة الشرقية، ولما أفصحت يومها عن رغبتي نظر إليّ الجندي الذي يسجل الرغبات في إشفاق وقال لي :

- إنت غاوي قرف ..

نظرت إليه نظرة حادة فخط قلمه بسرعة أمام اسمي (المنطقة الشرقية) ، لذلك لم تكن مفاجأة لي أن أعرف هذا المكان لكنني كنت أعيش لحظات الفراق القاسية وأنا أحتضن زملائي الذين سيذهبون إلى السويس وبور سعيد والاسكندرية في لحظات مرة ، وانهمرت الدموع وارتعشت الأكف بالسلام واهتزت الكلمات وتنجرت ، كان عليّ أن أعيش هذه اللحظات وكنت أعزّي نفسي بأن أحصل على عناوين زملائي ، كلّ في موقعه الجديد .

لحظة صمت وتوقع وصل على إثرها مندوب الاسماعيلية...
قرأ إسمي بين الذاهين إلى منطقة الاسماعيلية (إلى الجبهة) ، كنت
سعيدا سعادة لم أشعر بها من قبل بالرغم من الرعشة التي انتابت
حسدي وفي الوقت نفسه دار في ذاكرتي شريط طويل مر في
ثوان... أمي وهي تعيش هموم أسرنا .. إخوتي الصغار .. والذي
والصعاب التي يعاني منها .. صورة أحيرة جاءت إلى ذاكرتي ،
صورة لقاتي مع أخي الأكبر ليلة سهرنا حتى الصباح نتحدث حول
مشاكل الأسرة والقرية وفلاحها وعن الوطن وحرجه الدامي في
سياء ، حقيقة كنت سعيدا أن يتحول كفاحي في قريتنا إلى نضال
على الجبهة ، كان لابد أن أقول لأخي أن يحتل موقعه من جديد في
كفاح الأسرة والقرية.

تركت له ورقة حملتها مشاعري ورغبتني بل وراحتي في الذهاب
إلى الجبهة قمت له كم سيشرفني أن أكون جنديا يشارك في
معركة الوطن ، وكم سأكون قريبا إلى نفسي وأنا أقرب سياء
مستظرا مع المنتظرين يوم تحريرها.

الساعة الآن الواحدة والنصف بعد الظهر .. الحر شديد ..
سكان القاهرة كالنمل يروحون هنا وهناك في حركة دائمة حيل إلى
أنهم يعيشون بعدا عن الحرب.

.. تحرك بنا القطار الحربي التفت عيوننا وفي أعماقنا أشياء
غريبة ، فلم يكن يشعل نائنا إلا طلقات المدافع واريز الطائرات
والقتال الدائر في جبهة القناة .. حليط من الضجيج والزئير يختلط
بصور الأهل والأصدقاء.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أذهب فيها إلى الاسماعيلية ،

وكانت زيارة غير عادية، مناظر تؤلم النفس وتوقدها بالثورة، على الرصيف الشمالي جلس بعض النسوة وأمامهن بعض المتاع .. يبدو أنهم سيهاجرون إلى المناطق البعيدة .. المدينة مزدحمة بالجنود .. طلقات العدو هدمت الجامع وخرقت حائطا في مبنى كبير، نوافذ البيوت مغلقة ولا يبدو ظاهرا للعين إلا رجال الجيش . قال لنا مرافقنا :

- المدينة معلقة لأن العدو يركز مدفعيته عليها باستمرار وأنتم رجالنا الجدد فزيدا من المهمة ..

كان قرص الشمس الأحمر الدامي يحدر في طريقه إلى الغروب وكان على كل جندي منا أن يحمل أمتعته ويلقي بها في أي عربة من عربات الجيش المتجهة إلى مدينة «القنطرة غرب» .. ركبنا في إحداها ونزلنا منها إلى ثانية وثالثة مرفت بنا في سرعة جنونية .. قال البعض:

- ربما كانت القناة موازية لهذا الطريق .

قال مرافقنا :

- لا تعد المسافة عنها أكثر من أربعة كيلومترات ويمكنكم في الصباح رؤية مواقع العدو

توقف الحديث فجأة .. قال زميل من زملائنا الجدد :

- إسمعوا .. صوت مدافع تدوي على البعد . صمت الجميع في خوف .. اهتزت مشاعرنا .. ارتعش البعض .. أعلن واحد من أهل المنطقة أن القصف الذي سميحه ما هو إلا أصوات مدافعنا التي يتدرب جنودنا على إطلاقها في الليل .

تركنا العربة ووقفنا في انتظار وصول عربة أخرى متجهة إلى
حيث نحن ذاهبين .. كان سواد الليل يغطي المنطقة كلها بلا شعاع
واحد .. سمعنا صوت محرك من بعيد فأدركنا أنها عربة من عربات
الجيش ، وقفنا في انتظارها .. كنت إحدى حاملات الجنود،
فألقينا بامتعتنا داخل صندوقها ثم ألقينا بأنفسنا من ورائها ، وفي
منتصف الليل تماما وصلت بنا إلى مواقعنا.

افترشنا الأرض .. التف كل منا في غطاءه وراح يغط في
العاس ، وفي صباح اليوم التالي مرّت مشاعرنا بامتحان قدس
فالسبعة عشر حديثا الذين قضيت معهم الليل في هذا الموقع سوف
يتعرفون مرة أخرى هل شروق الشمس ، سالت الدموع من جديد
واحتضن بعضنا البعض .. كنا نشدّ على أيدينا بقوة وكادت كلماتنا
تنطلق قائلة في إعرار:

- يجب أن نكون رجالا



السبت ٥ أبريل ١٩٦٩

يبدو أنني قد تهرست على هذا الحق فقد صحوت وأنا أحس
براحة تامة وفي نفس الوقت كانت لي رغبة في التجول بالمنطقة...
لكن المندوب الذي وصل صباح اليوم أمرني بحزم مهاتنا بلذهاب
إلى المكان الذي سيكون لي شرف العمل فيه ألقيت مهاتي داخل
صندوق عربة الزل الروسية الصنع، وقهرت لأرقد بحوارها، انطلقت
العربة، أخذت أطل برأسي إلى الخلف لحقول الرسيم والقمح والوفل
الأخضر أراض واسعة مرروعة بشتلات البطيخ والشمام
رجال قليلون يعملون بالحقول.. قوات الجيش ترابط في كل
مكان... انحست العربة مع انحناءه الطريق لتدخل إحدى القرى...
وقد لا أكون دقيقا في هذا التعبير، فليس هناك سوى بيوت
مهجورة وشوارع خالية وخرائب هدمتها طنقات المدفعية ودمرتها
صواريخ الطائرات القرية كلها أفاصر ترح فيها الكلاب التي
رفعت الرحيل مثلما رحل الناس وهم يحملون أمتعتهم ويسحبون
دوابهم، حتى الواقد والأبواب نقلوها إلى حيثما ذهبوا. معارقة
عجيبة... حائط مازال قائما في القرية وقد خطت عليه يد صغيرة،
يبدو أنها لطفل في المدرسة الابتدائية... «النصر لنا»...

مرقت العربة مسرعة لتدخل قرية أخرى إصابات العدو بها
خفيفة... في القرية يلتقي رجال الجيش بالملاحين. كانت تلك

الصورة نرغبني كثيرا وكنت أتمنى أن يكون التحام الجيش بالملاحين
هكذا على طول الجبهة .

عربات الجيش لا تهدأ ، والوجوه اسمراء لحنودنا - رغم كل
شيء - تطفح بالأمل . فلاح يحاول أن يرفع ما دمره انعلو من
بيته ... فلاح آخر يشق التربة بفأسه رغم أن العربات العسكرية
التي لا تكف عن الحركة سوف تهدمها وتغطيها بالتراب مرة ثانية ،
لكنه رغم ذلك لم يرد أن يترك لقرية ، زرع بجانب القوات مرابطة
لحماية المنطقة . لقد كانت هذه الصور هي الدوافع القوية لي أن
أعود بعسي وأعددها لتحمل رؤية الحراح الدامية والمآسي المفجعة
دون أن أسقط أو يصيبني اليأس .



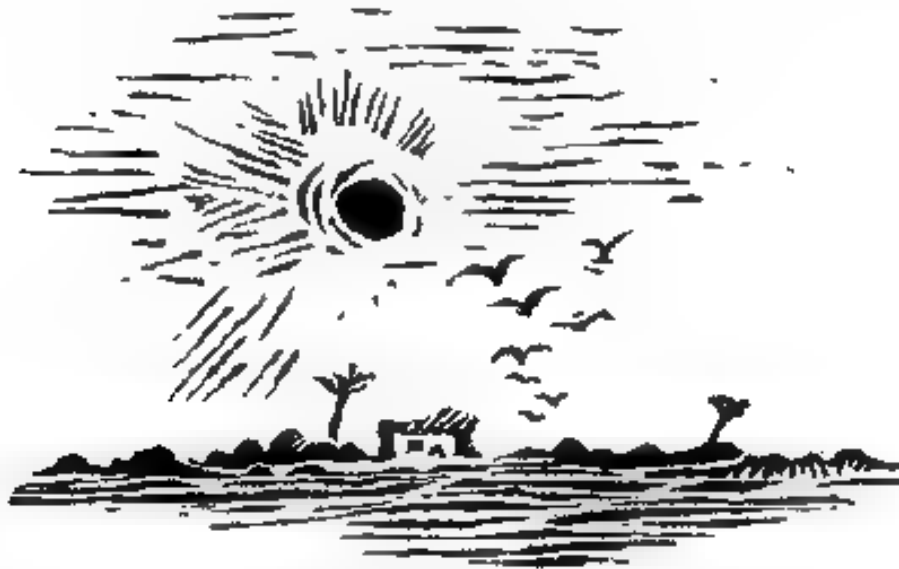
الاثنين ٧ أبريل ١٩٦٩

أطراف بحيرة «المرلة»، تمتد إلى الجبهة كأصابع اليد هنا وهناك، إنها صامتة تماماً أكوام الملح الأبيض الناصع تمتد بطولها الأوز الذي يرفرف في الأفق ويلاصق مياهها الساكنة أحياناً، أم الحشائش فإنها تنمو في كل مكان .. يبدو أن الفلاحين تركوا أراضيهم المحيطة بالبحيرة منذ شهور بلا زرع أو حتى حصد للمحصول القديم، كما هو الحال في الكثير من المواقع على طول الجبهة قوات الجيش تراطط في أماكن متفرقة في الخنادق والملاجئ في مواجهة العدو .. وسط هذا البوار وتلك الحشائش توجد قطعة أرض لا تزيد عن مترين ونصف المتر زرعها الأخصر يثب عالي في مواجهة الرصاص .. جاموسه وحمار يرفدان في اطمئنان عند رأس قطعة الأرض هذه، وعم «يومي» الفلاح العجوز يحمل عصاه ويتجول متفقداً زراعته، وقد يبعد قليلاً حتى لا يسقط في إحدى الحفر التي أحدثتها قذائف العدو، أو يتقدم في اهتمام لدقق الظفر في شيء ما. عندما رحلت القرية الصغيرة في منتصف الليل بعد أن التهمت الاشتباكات بالمدفعية يتنا وبين العدو وتمكنت قذائفه من الوصول إلى القرية، رفض عم «يومي» الرحيل معهم وقرر النقاء والاستمرار في زراعة أرضه.

وعندما تبدأ الاشتباكات من جديد وتطلق القذائف ويحيط غبار الانفجارات بداره ، فإن ذلك لا يخيفه أبدا ، وقد تمكن هو وزوجته وأولاده من أن يحفروا تحت الأرض بحوار البيت ملجأ يلجأون إليه في حالات الخطر ، وفي أحيان أخرى يشتر عم «بيومي» وأولاده ملابسهم ويحملون القذائف وصناديق الذخيرة ليساعدوا الجنود أثناء القتال ، وعندما تنهي الاشتباكات يحمل عم «بيومي» عصاه في يده وفي اليد الأخرى يحمل مقطعا به بعض الزحاجات المملوءة بالنابز ويذهب إلى الجنود خلف المدافع ويقدمها لهم .

وتعود الحياة بسيطة هادئة في بيت عم «بيومي» .

وعند المساء .. يتجه قرص الشمس وقد ازداد احمرارا ينغرس من جديد في مياه بحيرة «المنزلة» ، فيحولها إلى لون الدم . وقد تعود الاشتباكات من جديد ، ويعود عم «بيومي» إلى بيته ، ولكنه لا يتوقف عن الالتجاء في طلب سلاح شخصي له .



السبت ١٢ أبريل ١٩٦٩

ارتديت معطفي الصوفي وأحكمت إغلاق جميع أزراره لأحمي نفسي من البرودة القادمة من قناة السويس والبحيرات المرة وأطراف بحيرة المتلة. قادتني قدماي في شغف نحو القنطرة . فقد كنت أقرأ لكاتبة موفيتية كتابا عن تاريخ القناة والآلاف الذين ماتوا من الملاحين في شقها ، والتاريخ الطويل لمقاومة الاحتلال الذي كان يطمع في الاستيلاء عليها . وكل القرى على طول القناة تحمل بصمات تاريخ القناة .. وتاريخ العمل الفدائي ومقاومة الاحتلال الإنجليزي . أسراب العصافير وأبو قردان تعرف بين الحشائش .

وفجأة دوت المدافع ، فتطايرت أفكارني وتحطمت خيالاتي ، اضطربت العصافير وتمزقت أسراب أبو قردان ، وعوت الكلاب وأخذ الفلاحون يفرون إلى بيوتهم في دعر .. الدخان يتصاعد على الضفة الشرقية للقناة جريت لأقرب خندق وألقيت بنفسي داخله ، فككت الزرر العلوي وقلت لنفسي ما أصدق قول الكاتبة الروسية في كتابها «إن القناة هي قلب مصر وهي مأساتها ..» نظرت ثانية للدخان .. طلقات جديدة تنفجر .. صبي من أولاد الفلاحين يهبط إلى حوارني ويقول لي في فرح :

- النار والعة عند العدو .

قلت : أنت متأكد ؟

قال : نعم نعم .. مدافعنا تضرب .

قلت لنصبي :

- هل تخاف النيران ؟

قال بشجاعة :

- أية نيران ؟ .. الاسرائيليون ناس جبلاء .

مرت فترة من الصمت قطعها الطلقات المتواصلة التي تنفجر في
مواقع العدو .. الراديو يعن عن اشتباك في منطقة القطرة ..
الجالسون بالحدق يتكلمون حول الجهار اصعير وهم يرهضون
السمع .. قال المذيع :

- وكانت خسائر العدو فادحة أما قواتنا فلم
تحسر شيئا . اطلق الصغير والنصميق وقهر كل من في الحدق إلى
الطريق ، وعادت الماشية إلى مراعيها وعادت العصافير وأبو قردان
تمرح في أرض الوطن ، وعلى الحجاب الآخر الذي يحتله العدو كن
الدخان مازال يتصاعد .

انجهت مائيا على قلبي إلى بحيرة المزة المترامية الأطراف
حيث كانت الشمس في طريقها إلى الغروب .. قرص الشمس
الأحمر يعكس على المياه صورة رائعة ومؤلة أيضا ، من بعيد يلتحم
الأفق مع مياه البحيرة ويظهر على البعد قارب صغير نعله قارب
صيد ، تهب رياح قوية ، أقول لنفسي :

« في وقت الحرب وبرعم الرصاص المهر ، الفلاح يزرع
الأرض والصيد يبحث عن الرزق في البحيرة .. فكيف لا يقاتل
الجندي ببسالة وثبات؟؟ » .

عدت وفي ذهني أشياء عديدة عن كفاح الإنسان في
بلادنا .. وعن المحبة وقسوتها .. والأرض التي يحتلها العدو.



الأحد ١٣ أبريل ١٩٦٩

على غير عادتي صحت هذا الصباح مبكرا للغاية .. الساعة الرابعة .. وظللت راقدا في فراشي لأحتمي من البرد ، لكي بعد قليل سمعت أصواتا وحركة .. سألت جديا من زملائي : هل نتوقع اشتباكا في وقت مبكر كهذا ؟

قال : أبدا .. لكنها دفعة جديدة من زملائنا ذاهبون لقضاء إجازتهم الميدانية .

قلت : إجازات العدو يترصده لنا ؟

قل : وما وجه الغرابة ؟ .. ناس تحارب وناس تستريح وهكذا ...

وبعد قليل تجمع عدد من الجنود كل يرتدي ملابسه النظيفة وقد وضع أحى دراعه اليمنى العلامة الحمراء التي تدل أنه من رجال ميدان القتال ، الجنود يحملون زملاءهم أصحاب الإجازات خطاباتهم وتوصياتهم للأهل والأصدقاء ويكررون ذلك مرات ومرات .

وصلت العربة الكبيرة وتكدسوا فوقها ، كانوا سعداء فسوف يلتقون بالأهل والأصدقاء ويقصون أبا ما في المناطق الآمنة ..

نحركت العربى ونحرك الأبدى نودع الزملاء ونسمرت العيون
على العربى وهى تنلوى مع انحاءات الطريق الزراعى حتى اختفت
تماماً . وعاد الجنود وفي عيونهم دموع متحجرة ينتظرون دورهم في
إجارة يقصونها بعيداً عن القنابل والقذائف والحياة العسكرية
القاسية، حيث يقتربون لبصعة أيام من الحياة العسكرية القاسية،
حيث يقتربون لبصعة أيام من الحياة المهادنة في القرى البعيدة حيث
يروون للأهل والأصدقاء قصص البطولة والألم عن قلب مصر الذي
يحمق على طول جبهة قناة السويس .



الثلاثاء ١٥ أبريل ١٩٦٩

كان عليّ أن أسير على قلبي عشرة كيلومترات حتى أصل الى القرية التي نحتلها كتيبتنا ، فقد كان الفناصة الاسرائيليون يقطعون الطريق عينا بالرشاشات والأسلحة الخفيفة ، لذلك لم أضق درعا وأنا أحتار الطريق من أوله وسط البيوت المهدمة في مدينة القنطرة مارا بالأراضي الزراعية المحترقة كانت لأفكار تتسابق إلى ذهني وتمر بسرعة كالطلقات المنقطعة . وبين الحبس والخس كان يمرق بجاسي أحد الكلاب مذعوراً . تذكرت ما حكاه لي أحد الجنود عن رميلنا السائق الذي كان يقود عربته في سرعة جنونية ليملا خزانات مياهه ، فأطلق عليه الفناصة الاسرائيليون رصاصاتهم ، فقاد العربته في سرعة أكثر... طبقات الرشاش نصيب العربته وحزاه المياه أخذ يتصبب على الطريق . السائق ينحني بالعربة داخل الأراضي لزراعية... العربته تهبط وتعلو مع منحفضات الطريق . وعند مبنى القيادة توقفت العربته مرة واحدة بصوت مرعج . خرج عني إثره جمع من الجنود يستطلعون الخبر فرأوا السائق وقد ضرب باب العربته بقدمه وسقط مغشياً عليه . أسرع أحدهم إليه وصب على وجهه ماء لئلا يفسد فاستيقظ ونهض واقفاً وأحد يقص علينا كيف حاصره الفناصة الاسرائيليون على الطريق .. وكيف تمكن من الفرار منهم رغم الطلقات التي كانت تحترق باب العربته.ورغم تحطم

زجاجها كان السائق يحس ببعض الألم في قدمه ، التفت الخنود من حوله وكاوا يظنون أن هناك رصاصة قد أصابته .. تحسّسوا مساقه فلم يجدوا شيئاً ، ولكن أحدهم صاح فجأة وهو يشير إلى قدم السائق

.. عحية .. انظروا .. !!

تحوّلت أنظار الجميع لنبطلق في قدم ذلك الحندي لتلمع إحدى رصاصات العدو وقد سمرت في بطن الحذاء العسكري الثقيل دون أن يصاب قدمه بأي أذى .

كنت قد قطعت نصف الطريق وأنا أعيد على نفسي قصة هذا الحندي وأتلدذ بطولته لكنني سمعت تكتكة موتور إحدى العربات فالتفت مسرعاً .. كانت عربة حبيب عسكرية ... قلت في نفسي عربات الجيب العسكرية لا يركبها إلا الصباط وهم يتأهون من اصطحاب الخنود معهم ، لكن قديمي كانتا مرهقتين ولم تعد لدي قصة أخرى أكمل بها الطريق قلت فلأجرب ، وقفت معترصاً العربيه حتى اقتربت مني .. توقفت أشار إلى الصابط بالركوب ، قفزت من الباب الخلفي ثم جلست على المقعد الذي كان الثراب ينجي لونه تماماً ، كان الصابط الذي يقود العربة يرتة رائد . فهمت أنه قائد إحدى كتائب المدفعية وفي الكرسي الخلفي كان يجلس صابطان يرتة نقيب ، مرقت العربة نحترق أراضي القمح وقدومه .. أشار القائد بأن ذلك المكان يصلح لكي تحتله الكتيبة الجديدة موقعاً ها . أوما أحدهما برأسه موافقاً ثم ضحك ضحكات متوالية .. وقال للنقيب :

– هل نسيت إحضار الثلاثجة مع المهات الأخرى .

رد النقيب :

- نسيتهام فعلا

قال الراءء في غضب :

- أنا لا أستطيع أن أعمل «واليرة» بعيدة عني

ثم انفت إلى النقيب من جديد قائلا :

- نسينا أنفسنا تماما .. تصور لم نحضر معنا بعض

الساندوتشات.

قال النقيب مسرعا :

- يا فءم غءا نجهز ساندوتشات.

قال الراءء : ضروري.

وكاءء عجلة القيادة تفلت من بين يءبه .. فقاء سقطت
العربة في حفرة مسطحة لكها ففرت باء أن ارطمت رؤوسنا
بالسقف ، كن قارب من موقعنا ، طابت النزول من اعربة ،
نزلت إلى الطريق ، بطرت خلي للعربة لأرى ما قاء اءء لكبي
كنت سأسقط في إءى الحفر العميقة التي حفرها إءى صوارىخ
الءو



الأربعاء ١٦ أبريل ١٩٦٩

منذ الصباح الباكر وهذا الحندي لا يتعد عني فالأم
يعتصره ويعتصرني أيضا من أحله، فقد إحسن عمله البور منذ
يومين ماذا استفعل له؟ الاسعافات التي تحت يدي لا يمكن أن
تؤدي له شيئا، طلعت إحدى العربات، وفي الصندوق أقيمت
يخسدي إلى جواره وأسدت رأسي على ظهر مقصورة اسائق
انطلقت العربة لتحرق الأراضي المزروعة والتي تهدم ما يقابلها من
بيوت طينية مهجورة، كن لابد من الاسراع لاسعاف هذا
الحندي، وكان السائق يعرف هذا جيدا .. العربة تتلوى بين
حقول القمح والجليدي هو الآخر يتلوى من الألم المرح الذي يرداه
شدة لكما أوعلنا في الطريق، كنت أشيح البصر بعيدا عنه فيقع على
الحقول الصفراء والأراضي البور فأحس بانقبضة شديدة، لقد
كانت الكارثة قاسية على هذا الشعب فهي تلتهم قوته بنفس القسوة
التي تلتهم بها أبنائه.

أفقت على صوت حندي الاستقبال بالسرية الطيبة وهو يوقظ
الحندي المريض لتتول من العربة قرر الطبيب احتجاز المريض لسوء
حالته.

عادت بنا العربة بسرعة، وفي الطريق استوقفنا أحد جنود
الشرطة العسكرية قائلا:

- يحتمل أن يحدث اشتباك بيننا وبين قوات العدو بعد
لحظاب ، أرحو أن تلموا الحادق فور سماعكم الطلقات
قلنا في صوت واحد :

- فليسرع بالعربة إلى مواقعنا .

وعلى الطريق الموارى لقناة السويس انطلقت العربة في سرعة
حوسه ، وفي كل دقيقة كما نتوقع إحدى ضربات العدو على عربتنا .
كان قلق الصمت يحيم علينا أنا والسائق ، لكننا أفتنا بعد وصولنا
إلى موقع كبيتنا سالمين .. و نطلقنا نضحك ورحت أعلن لبقية
الجنود عن زميلهم الذي احتجز بالسرية الطية .

اقرب منا أحد الضباط قائلا :

- كونوا على استعداد ..

وم إن انتهى من كلماته حتى انطلقت الصواريخ من ميناء إلى
مواقعنا ... احتضنت حقبة الاسعاف التي أحسها على كتي ..
وداحل الملجأ (قيادة الكتيبة) جلست في انتظار أية أوامر لإسعاف
الأفراد المصبيين .

كان العدو يركز ضرباته لصاروخية على مواقعنا قصفت
صواريخه معظم الأشجار التي كنا نختمي بها ، صاروخ اتجه إلى
جذع شجرة الملاحظة فحملها من مكانها لتسقط للجدي الذي
بعثها في مكان آخر بعيدا ، أسلاك التليفون تقطعت . جاء جندي
الملاحظة مذعورا إلى الملجأ وارتمى بجواري قائلا :

- انقطعت الصلة بين مدافعنا وقيادتها على شاطئ القناة
ومارالت الصواريخ تتساقط وتدمر عيوننا تزداد احمرارا ..

نظرات ذاهلة . البعض يتلو آيات من القرآن والبعض الآخر يتلو فقرات من الإنجيل، كلما اهتز المدبج من قوة الانفجارات الصاروخية .. أحد الجنود يعدّ الانفجارات بصوت مسموع - (٤ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ .. خمسة وأربعون صاروخاً قدفت بهم منطلقنا قبل أن يتوقف القصف .. صعب علينا أن نصدق بأننا مانزال أحياء وأن كل الضربات ابتعدت عن الملجأ .. انطلق بريق الفرح من عيون الجميع . عائق بعضنا بعضاً عناقا حرا وكأننا ولدنا من جديد، بينما كان قرص الشمس قد ازداد احمراراً، واتجه مسرعاً ناحية بحيرة المرة لتلتعه مياهها رويداً رويداً، وبدأت الحركة تدب من جديد، انطلقت الطيور عائدة في تشكيلات رائعة .. الأشجار المحطمة تتكؤم هنا وهناك .. أحد الكلاب أصيب بشظية .. حاموسة ضخمة ملقاة وهي مثخة بجراح عميقة .. صاحبها يشق جلبابه ويقرر الرحيل هائياً عن المنطقة

ركبت العربة مع السائق لسطق بين الحمول المروعة إلى القرية التي تعسكر فيها الشؤون الإدارية للكتيبة، كنت قد تعودت على ارتطام العربة بمخفصات الطريق، القرية تلوح لنا بين الظلمة التي بدأت ترحف على الجبهة كلها، كنت أتعجل وصولنا إلى القرية حتى أستريح من عناء هذا اليوم ومتاعه.

ألقيت بسلاحي وحقية الإسعاف بجواري، ودون أن أخلع حذائي العسكري الثقيل شددت الطاوية فوق جسدي، ورحلت أحاول النوم. لكن شربطاً لأحدث هذا اليوم لا يفارق ذاكرتي، سمعت بعد قليل وقع أقدام عسكرية تدب على مقربة مني، فتحت عيني لكن الظلمة الشديدة لم تمكنني من رؤية القادم:

- يا دكتور... يا دكتور.

صحت قائلا :

- من ؟

- قم حالا إلى المطبخ فقط سقط أحد الخنود في وعاء الطعام الساخن.

- هل احترق ؟

- فخذاه فقط.

قمت مسرعا .. ارتديت معطى وحملت الحقيبة على كتفي وأمسكت سلاحى باليد الأخرى وقلت للجندي :
- به على سائق العربة أن يكون مستعدا



الخميس أول مايو ١٩٦٩

كان الجو محرقا ، أرواحنا تكاد تزهق من شدة الحرارة ، وكما
نتوقع أن العدو في سيناء يكاد يحترق هو أيضا من شدة انعكاس
حرارة الشمس على رمال سيناء ، ورغم ذلك كانت عيون الحدود
يقطة ومفتوحة من وراء المدافع ، والفلاحون الباقون بالقرية
يحصدون القمح ويعنون أعبيات الحصاد . وفجأة توقف الغناء
ونأهب الحدود خلف المدافع ، وأنصت الجميع ، وكانت المفاجأة
المرعبة : سبل من الصواريخ بهال على الموقع .. كانت هذه هي المرة
الأولى التي يكتشف فيها العدو موقع كتيبتنا ويطلق صواريخه على
هذه القرية . كان الوقت أصيلا ، وكان للاحون في حقولهم يهون
أعمال ذلك اليوم الشاق .. سقطت قذيفة استطاعت أن تحدث
بعض الخسائر .. حريق يشتعل في حقل القمح . حمار يسقط
قتلا وقد بعجت إحدى الشطانا بطنه ، كلب يجري ويعوي ..
تلحق به قذيفة أخرى فيسقط قتيلًا هو الآخر . حول الرجال نظرتهم
عن السماء وهم يهرولون مسرعين يسوقون أمامهم ماشيتهم ،
السوة تصرخ في رعب باحاثات عن أطفالهن .. الكلاب تجري
مدعورة . العصافير وطيور السماء والأوز البري تفرق بسرعة بعيدا
إلى البحيرة .. طلقات الصواريخ تقرب من مدي القرية . حملت
سلاحى على كتفى اليمنى ، وعلى الكتف الأخرى حقيبة

الإسعاف، ولبست خودتي الحديدية وارتميت بسرعة داخل الخندق، وصوت الطلقات مازال يتر في الفضاء، والشظايا تتطاير وتسقط بحواري. العدو يلاحقنا بطلقات انتقامية، دار في خيالي شرط طويل مر في ثوان.. صورة لملاحق قريبنا، صورة للأهل والأصدقاء. صورته مربعة قاسية لموت، قذيفة تسقط بحوار الخندق.. لتصقت بالحدار الرملي، اهتزت أركان الخندق، رائحة البارود تملأ المكان حتى أكاد أحتق، لا أرى أحداً، ماذا قد يكون حدث الآن، تحسست جسدي، كنت حياً لم أصب بأية إصابة، لكي كنت أتصور أن هناك جرحى وقتلى كثيرين، بدأت حدة ضربات العدو تقل إلى ضربات متقطعة.. رفعت رأسي لأنظر حولي، الحمير تحري في كل اتجاه والكلاب تعوي في ذعر، والحريق مازال مستعمر في حقل القمح، الصراخ والعيول يتزايد.. يبدو أن شيئاً ما قد حدث، حملت نفسي خارج الخندق وليحدث ما يحدث، قد يكون هناك حريق في حاجة إلى إنقاذ، كان العدو قد شعر بأنه دمر موقعنا فتوقفت صواريخه عن العبور إلينا.. كنت أجرى كالملهوف باحثاً عن الزملاء في الوقت الذي حرق كل جندي باحثاً أيضاً مثلي عن زملائه، كنا نحتمس بعضنا بعضاً في شوق لا مثيل له ويقل بعضنا بعضاً، فيتعلق بشماها التراب الذي غطى الوجوه من آثار الطلقات الصاروخية والفدائف التي نوات على مواقع، بحثت عن جرحى فلم أجدهم، عاد الفلاحون ونساؤهم بنظرات شاردة، وفي عيونهم دموع.. سألت:

— هل هناك جرحى؟

قالوا: لم يحدث شيء.. لقد كان الله كريماً معنا..

وبعد قليل كان الفلاحون قد تجمعوا في أحد أجران القرية ..
واتبعوا حول أكبرهم سنًا وأكثرهم حكمة وأخذوا يتساءلون :

- ما العمل؟؟

لقد قرروا الرحيل عن القرية وبلاد الله واسعة والورق في أي
مكان .. قال أحدهم :

- أيها الرجال إن الروح غالية لا يساويها أي ثمن ، تعود
الأرض ، وبغور الزرع والبيت ، لكن الروح غالية .
وواجه الجميع إلّا رجل عجوز آوى الرحيل عن القرية ، صاح
فهم بصوت متهدج :

- يا أولاد الموت في كل مكان .. والمكتوب على الجبين لازم
تشوفه العين وهذه أرضنا ورزقنا ، ولكنهم كانوا قد قرروا
الرحيل .

أسرعت النسوة يحمل ما يستطعن حمله من مؤن ، والرجال
أخذوا يغلقون المنازل ويسحبون الماشية ، شاب مفتول العضلات له
سحنة مصرية صبيحة يلح على والده العجوز ليقعه بضرورة
الرحيل فلا يوافق الأب .. الرجل يصر على البقاء في القرية
وفي ظلمة الليل كان الركب الحزين يتحرك في طريقه لاختراق
الصحراء إلى « الزقاريق » .. الدجاج والديوك تصبح ، والأطفال
يكون ، والرجال يلقون عليها التحية قائلين .
- أهمة يا رجال .

كانت كلماتهم هذه كالطعنات الحادة تمزق أحشاءنا ..
أصبحت القرية مقفرة تماماً بعد رحيلهم ولا يسكنها إلّا العجوز

وحده مع قوات الجيش

ظللنا طوال الليل وتلك الصور لا تبارح خيالاتنا .. وحيل القرية
في منتصف الليل عبر الصحراء .. العجوز الذي يصر على عدم
مبارحة الأرض والقرية .. رائحة البارود وقلب مصر الذي يتزف ..



٣ مايو ١٩٦٩

— على أطراف لبحيرة وفي الحشائش النامية في الأراضي السور
يفف الأور البري باحثاً عن طعامه ثم يخلق في مجموعات ويكركر في
الفضاء، وقد كان الفلاحون يهرون صيد ذلك الأوز، لكن المطقه
كانت قد خلت تماماً من الفلاحين، وبعض الحقول مازال بها
محصول القمح في انتظار حصاد فبات أوانه
كثير... أحرار بها أكوام القمح دون دراس، فقد ترك الفلاحون
كل شيء خوفاً من صريات العدو. لكن العجوز الذي رفض أن
يعادر القرية كان كل صباح يخرج حاملاً قامه إلى قطعة الأرض
الصغيرة التي يمتلكها ليبدد البطيخ وينقل شتلات البصل، ورغم
أن الاشتباكات في المنطقة ماتزال عنيفة، لكن هذا العجوز أصر
على العمل وأصر على مواجهة اليران في الحقل بعيداً عن المحابي،
كان يتلفت حوله بين الحين والآخر ليلمح أسراب الأور البري وهي
تتجه نحو بحيرة المتزلة، ثم يمسح بكفه العرق الغزير المتصبب على
جبينه ويواصل عمله في صمت

تجبرنا في أمر هذا الرجل . أرسل إليه ضابط الموقع ليقول له أن
الضرورة تحتم أن يغادر المكان حتى لا يصاب بأذى .. قال
العجوز:

— والأرض من يزرعها؟

قال الضابط :

- الأرض يا والدي تزرعها اليوم وغدا يدمرها العدو ..

وتمكن الضابط من إقناع العجوز بالرحيل عن القرية .

في الصباح كنت أعد نفسي لسفر مع بعض الرملاء .. تجمعنا بحرن القرية ، حضرت العربة لتنفلا إلى الاسماعيلية ، وعندما همما بالركوب رأيت العجوز يتاديا لمساعدته . كان يحمل كيساً ثقيلاً للغاية .. قال الرجل موصحاً لنا ونحن نهم بحمله :

- هذه مسامير المحراث وسلاحه وكذلك رأس القأس ..

إن هذه الأشياء هي روح الفلاح يا أولادي . وأخيراً استقر العجوز داخل صئوق العربة ، وتحركت بنا .. كنا ثمانية جنود والعجوز تاسعنا وكان برد الصباح مازال يصفع وجوها . كنا نتحدث عن هبة الشرة الثانية للأخبار .. قال المذيع :

- استطاعت القناصة عدنا إصابة جندي اسرائيلي ..

قلنا :

- خير عادي .

قال أحد الجنود :

- سمعت هذا الخبر حقيقة .. فقد أراد بعض جنود العدو

التسلل إلى جيبتنا للقيام بعمليات تخريب ..

صمتنا .. قال الحالس بجواري :

- لا يهم ...

عندما أشرف النهار على نهايته ظهر قرص الشمس أحمر بون الدّم بسبح مرة أخرى حلف واقعنا في مياه بحيرة المنزلة ، جلست

.. ربنا ينتقم منهم ..

ثم طلب التزول من العربة .. صاح أحد الجنود مشيراً على
السائق بالتوقف ، وحملنا العجوز إلى الأرض وكدلت قفته وكيسه
الثقيل ووضعناها بحواره بعد أن جلس القرفصاء وهو مارال يثمت :
.. ربنا ينتقم منهم ..

وانطلقت العربة واحتد النقاش مرة ثانية ، والفلاح العجوز مع
متاعه البائس مارال يترأى لنا على البعد جالسا في الصحراء
الواسعة بلا هدف ولا مأوى يصعر حجمه كلما انتعدنا عنه ويكرر
معه الحقد في نفوسنا ويزداد كأس المرعة مرارة على مرارة .

س سمىء حور من صررب العدو . لحن العجوز الذي رفض ان
يعادر القرية كان كل صاح يخرج حاملا فأسه إلى قطعة الأرض
الصغيرة التي يمتلكها ليذر البطيخ وينقل شتلات البصل ، ورغم
أن الاشتباكات في منطقة مائرال عيفة ، لكن هذا العجوز أصر
على العمل وأصر على مواجهة النيران في الحقل بعيدا عن الخافي ،
كن يتلمت حوله بين الحين والآخر ليلمح أسراب الأوز البري وهي
تنحى نحو بحيرة المترلة ، ثم يمسح بكفه العرق الغزير المتصبب على
حيثه ويواصل عمله في صمت .

تخبر في أمر هذا الرجل .. أرسل إليه ضبط الموقع ليقول له أن
الضرورة تحتم أن يغادر المكان حتى لا يصاب بأذى .. قال
العجوز :

.. والأرض من يزرعها ؟

الاثنين ١٢ مايو ١٩٦٩

- اجتاحت الجبهة موجة باردة سقط خلالها المطر بغزارة ،
وكانت الريح تزعج حتى أنا كما نصبح السمع لرى هل هناك
إشتباك على الجبهة أم لا ، الرؤية غير واضحة بالمرّة رغم أننا في
الظهيرة ، الصباب الكثيف يعطي الأرض النور المترامية والتي تتمركز
بها مواقعنا كما يعطي مواقع العدو في سناء أيضا ، العدو يطلق بعض
الطلقات المفردة والحميفة وكأنه يسمرد على الطبيعة ، حان موعد
النشرة الثانية للأخبار .. قال المذيع :

- استطاعت القناصة عدنا إصابة جندي اسرائيلي ..

قلنا

- خبر عادي ..

قال أحد الجنود :

- سمعت هذا الخبر حقيقة .. فقد أراد بعض جنود العدو

التسلل إلى جبهتنا للقيام بعمليات تخريب ..

صمتنا .. قال الجالس بجواري :

- لا يهم ..

عندما أشرف النهار على نهايته ظهر قرص الشمس أحمر بلون
الدم يسبح مرة أخرى خلف مواقعنا في مياه بحيرة المنزلة ، جلست

أفكر، كيف يجرؤ العدو على التسلل إلى مواقعنا، وكيف يكون أثر ذلك على جنودنا، هل هي مجرد حرب نفسية، أم أن هناك هدفا عسكريا وراء ذلك، كنت مهموما للغاية، وانتمصت فحاه، فقد صاح الجندي الواقف لحراسة المبنى الذي تحتله صيحة عالية آمرة.

- قف من أنت؟

كان جنديان وكلبان .. قال أحدهما سيرة وثيقة :

- يا دفعة نحن مصريان مثلك نحن من «الصاعقة» ..

اقتربت منها وهلت :

- ماذا تريدان؟

قال الجندي :

- أين ضابط الموقع؟

وكان الضابط قد سمع الحوار فأطل من باب الحجرة صائحا

- أية خدمة يا دفعة؟

تقدم الجنديان والكلبان ودخلنا جميعنا إلى الحجرة .. وعلى

الضوء الخافت ظهرت ملامحها الريفية الصميمة .. قال الضابط .

- ماذا يجب أن نفعله لكما؟

رد الجندي بعد أن أمر الكلين باحطوس :

- مسعبر إلى سيناء بعد ساعة واحدة عند المنطقة المواجهة لكم

على خط القناة ..

كانت عييه تلمعان وكان شعر دقنه قد نبت بعزارة. أشعل كل

مهما سيجارة وأخذ يشد أنفاساً عميقة ويقلق واضح .. نظر أحدهما

إلى ساعة يده وقال ساعة تقريبا ونتحرك ووضع يده على رأس كلبه

الراقد بجواره قائلا :

— استعد يا عنتر.

وحيل لي بأن الكلب قد مزّ رأسه بالموافقة ..

كنت في لفقة لمخادثتها عن منظمة «سيناء لعربية» . وعن العمل الفدائي في أرضنا المحتلة لكن الحنديين، انطلقا يسردان لنا كيف يتسللان في جنح لظلام صحبة الكلبين ليهدموا للمنشآت ومعداته . وكيف يعبران القناة، وكيف يتخلصان من كياثن العدو . أخرج زميلنا الجندي الحلاق عليه سحائره وبإصرار أولاد البلد أعطى لكل منهما سيحارة . وبعد بقليل كان الجندي الطباخ قد أحضر بعض اللقيحات المتبقية من عشاء اليوم وطبقا من العسل ودمها للحنديين وألح عليها أن يأكلا ويطعم الكلبين، أكل الحنديان وتأفّف الكلبان من الطعام وبعد لحظات كان الكلبان يتحركان في قنق جبهة وذهابا ..

انتهى الجنديان من العشاء وقال أحدهما :

— الكلاب تعرف مبقات العملية !!

قال زميله بعد أن نظر في ساعة يده ..

— اقرب الموعد يا سيادة الضابط .. تصل برحالك على خط

انقاة ليسهلوا مهمتنا .. ففز الضابط الشاب واعتدت يده بسرعة

الى ساعة التليصون الميداني وبعد كلمات قليلة قال :

— نحن نريد أن نقدم لكما أكثر من ذلك .

نهض الرجلان .. اقرب كل كلب من صاحبه .. حمل كل

جندي منها مدفعه الرشاش على كتف وحمل حقيبة أخرى مليئة

بالمفحرات على الكتف الآخر، ثم ألقى بحقب لسيجارة واعتدت

يده تصمط على أيدينا بالتحية ولم نمالك أنفسنا فاحتضناها
وقبلناهما كثيرا وقلنا في صوت واحد :
- رينا معكما .. وقلوبنا أيضا ..

وانطلق الرحلان ومعها الكلبان يلفهما ظلام الليل ليعبرا القاة ،
وبعد ساعات قليلة وربما لحظات متدلح اليران في موقع ما من
مواقع العدو، وربما يستشهدان مع كليهما.

ودخلت إلى حيث أنام وخواطر عديدة تجري في مخيبي، كلها
تباوت أمام هذين الرحلين وكليهما ، فكيف سيعرف الناس قصص
هؤلاء ؟ .. كيف سيعرفون أن هناك رجالا يدفعهم وطنهم الحريح
لأن يفتحوا الموت والخطر في بساطة وبسالة مثل هذين
الريصين .. كيف ؟؟



١٥ مايو ١٩٦٩

ارتديت معطفي العسكري ولست الخوذة الحديدية فوق رأسي،
وعندما هممت بالخروج إلى البحيرة اقتربت عربة عسكرية من المنى
الذي نحتله .. وقفت في مكاني .. نزل الحير الروسي من العربة
واقترب منا ليحيينا ، ذهبت لأتجول معه ، لم أفهم كلماته الروسية،
ولكني كنت أفهم من حركات يديه وقسمت وجهه ما يريد . قلت له
بالإنجليزية :

- هل ترى أن النصر سيكون حليفنا في المعركة الحالية ..
أجاب :

- بعض النظام وبعض المسؤولية تكون معركة تحطيم الامبريالية
على أيديكم.

قردت الذهاب إلى بحيرة المترلة .. أجلت نظري في الفضاء
اللامتناهي والذي يلتحم بمياه البحيرة في صفاء عجيب، لا يشعر به
إلا طيور البحيرة وهي تعلو وتهبط على سطح الماء ، جلست والألم
يعتصرني كلما فكرت في مناسه بلادي ، فقد كان فكري يتمزق وأنا
أفكر في الشعب الذي يدفع بلا حساب من أجل معركة ضحمة ،
لقد أحسست أنني أضاع حياتي في مخاطرة أحسها بلحمي ودمي ،
وأحس أن شعبا يعيش هو الآخر نفس المخاطرة. انها لعبة الخداع
المستمرة للشعب حول تفاهة قوى العدو ..

ولم يستغرقى التمكيز كثيرا .. فقد انهمرت صواريخ العدو على
الموقع أكثر تركيزاً من ذي قبل كان العدو يهدف إلى ضرب سرية
المدفعية الملاصقة للمبنى الذي نحتله . حرّيت بعيداً لأتعاذي
الشظايا المتطايرة من حولي، ووجدت بقيه جنود يجرون هم أيضاً
بعيداً عن مواقع لثيران، كنا نلتصت إلى بعضها بعضاً في أسى، فقد
تركنا مواقعنا القتالية وحرينا نبحث عن أختياة ..

كان هناك جندي واحد أصرّ على البقاء بحاجب المدفع .. وبعد
قليل إتجه الضابط إلى الموقع وأمر الجنود بالعودة إلى مدافعهم
والاستعداد للضرب .

وانطلقت صيحات ملووية من الجنود .

- .. يا رب الرحمة يا رب ..

نيران العدو لا نهأ ولا تتوقف ، أطلقت نيران مدافعنا نصف
أماكن تركزه في سيناء ولكنه شد من هجانه الصاروخية أكثر
فأكثر، جنود مدفعيتنا لم يعد في مقدورهم الاستمرار ، قل لهم
الضابط :

- انتشروا بعيداً عن المدفع ..

لكن الجندي الباصل رفض أن يترك المدفع .. كان المدفع
محشوا بالطلقات ، فضغط الجندي على عمود الضرب وانطلقت
القذائف تصغر نحو العدو .. ركز العدو برانه على المدفع وسقطت
قذيفة بجواره . انتشرت الشظايا من حوله وانطلقت صرخة مدوية
ثم انفجعت

قفز الجنود مسرعين ليجدوا ذلك الجندي والدماء تتدفق من

رأسه وقد احتصن مدفعه ، جريت بعد أن توقف الاشتباك لأرى
إصابات هذا الجندي لكنه كان قد فارق الحياة تماما فقد شجبت
شظية رأسه ..

وقف زملاؤه يكون من حوله بكاء مرًا وسقط دموعي غزيرة
دون أن أدري ، شج البعض ودماء الشهيد تسيل على الأرض
السوداء حمراء قانية ورائحة البارود تختلط برائحة الررع الأخضر ،
وعلى أكوام التراب وداحل السيوت المهدمة جلس الجنود في حزن وقد
أحس كل بفتور شديد وجثة الشهيد مسجاة على الأرض ومعطاة
بالحشائش الخضراء .

جاءت عربة الاسعاف لتنقله إلى مقابر الشهداء . حمل الجثة
أكثر من عشرين جنديا وقد غطت دموعهم ملابس الشهيد
الميدانية .. صرح البعض كانباء غاما ، إرتنى العصف الآخر عني ،
الأرض خاثر القوى ، تحركت عربة الاسعاف عبر الطريق الزراعي
الضيق المتعرج ، ووقف الجميع ليكون ويلوحون للعربة حتى
احصت تماما .. قلت وأنا أغالب دموعي :

- لا يصبح هكذا يا رجال . هل نسقط نحن أيضا ..
صاح البعض :

- دمه في رقابتنا جميعا ..

دق جرس التليفون الميداني .. وجاء الأمر بالتجمع حول
المدافع من جديد والاستعداد للصرب . جرى الجميع بسرعة
وارتمى كل على مدفع وانطلقت القذائف مدوية محونة ، وجاء عبر
التليفون الميداني مرة أخرى .. لقد دمرت مدفعيتنا مواقع
العدو ..

في تلك الليلة لم نم .. كان هناك شيء أكرم من القرح يبيت
معنا في الحصادق .. لقد انتقمنا لرميلنا .. نعم .. لقد وهنت دمه
شجاعة ووراء كنا نحتاج إليهما، وعندما انعدت نفسي تذكرت
كلمات الحبير الروسي وقلت : عندما ألتقي به مرة ثانية سوف
أصحبها له قائلا -

- بعض النظام وبعض المسؤولية وبعض الإخلاص ..



الثلاثاء ٢٧ مايو ١٩٦٩

كانت ليلة قمرية . صوء القمر الفضي يتسلل داخل طرقات
القرية الصيقة، وبين أشجار النخيل تكوّن الرؤية في مثل تلك الليالي
واصحة تمام ، وذلك بطلن جنود الحراسة الليلية حيث يمكنهم أن
يلمحوا لأي شيء يتحرك ..

استسلمت للنوم العميق بعد أن لففت جسدي بإحدى
البطاطين لأحمي من وخر الباعوض المتشر بأبطقة ، استسلم زميلي
الصعيدي الراقد معي في الحجرة للنوم وأخذ شخيره يعلو في صوت
واصح ، نباح الكلاب لا يتوقف ، مواء القطط لا ينقطع كلما
قابلت كلبا ، نقيق الصفادع في التربة المجاورة يعلو حيا ويتوقف
حيناً آخر .. وعلى هذه الأصوات جميعها استسلمت للنوم
واستسلمت الأحلام تنطلق بلا رابط ، الفدائيون الفلسطينيون يشون
الرعب في صفوف الجيش الاسرائيلي ، قتلاه يسقطون ، الجيش
الاسرائيلي يستخدم مدفعيته ..

كانت هناك طرقات متتالية على باب الحجرة ، كنت أظنه
طلقات المدفعية كما كنت أحلم ، تزايد الطررق أفقت قلقا
وصحت :

— من أنت ؟ . ماذا تريد ؟؟

صاح عسكري الخدمة الليلية :

- سيعبر جيشنا الساعة هذه الليلة .. إحمل سلاحك وذخيرتك واستعد .. انتفضت واقفا .. نظرت في ساعة يدي ، كانت عقربها تشير إلى الساعة الثالثة وال نصف بعد منتصف الليل ، استيقظ رميلي في الحجرة ، كنا نتخبط بعضا ببعض ونحن نتلهف على لبس الخوذة وحمل السلاح استعدادا للهجوم ، كان صوت الضبط يصيح بشدة مع نداءات عسكري الخدمة الليلية لايقاظ الحدود ، فتحت الراديو التراسستور لأسمع شيئا عن ذلك من إذاعتنا ولكي لم أسمع إلا الصفير فقط ، أطمأت الراديو ، وقعت عياني على غلاف الكتاب الذي كنت أقرأه (أصدقاء العرب) كتبه لميف من الصحفيين السوفيت ، قت في نفسي لا بد أن الخبراء السوفيت أيضا في هذا الوقت يتجولون في المواقع فقد حانت ساعة الصفر...

الموقع الذي كان صامتا امتلأ بالصجيج ، الجنود يتدافعون كالسهام إلى الخنادق ، كشافات العدو الضوئية تنقلت إلى أعلى في سماء جهت .. رميلي الصعيدي يتابع حركتها بعينين تلمعان في ظلمة الليل وبهول لي يصير نافذ :

- آه .. نفسي أرى أولاد الأبالسة هؤلاء .. نفسي أشفي عليي .

وانطلق قافرا إلى الخندق بين زملائنا .

أنفاس الجنود الراضين وأيديهم على أزراد بنادقهم ومدافعهم الرشاشة تتلاحق ساخنة حارقة ، ونبض الدم ينرايد في العروق ، القلوب تدق ، والعيون كلها مثبتة على سبنا ، آذاننا تصيح السمع

لتلقف الأمر الذي طال انتظاره ، البعض طلق الشهادة والبعض الآخر رسم الصليب على صدره ..

.. الكلّ مستعدون يا فندم .. على أتم استعداد

هكذا تحدث الضابط في التليفون الميسائي .. وقد صمتنا جميعا متلهفين لسماع أي شيء عن ساعة الصفر:

.. الساعة الرابعة والنصف الآن نعم يا سيدي الموقف جيد للغاية.

.....

.. سأفعل ولكن لا أعرف ماذا ستكون النتيجة .. إهم متحمسون وكأنهم ذاهبون إلى الجنة.

.....

وصع الضابط الساعة وأخذ يظر إلينا حائرا .. وبادره أحد الجنود قائلا:

.. لا يبدو ظاهرا أي شيء يدلّ على أننا سنمبر الليلة.

وتساءل كثيرون آخرون في أصوات متلاحقة:

متى سيبدأ الهجوم؟ .. متى سنمبر القناة؟ .. ماذا ننتظر؟؟

سحب الضابط رشاشه عن كتفه ثم ركزه على الأرض واثكأ بكلتا يديه على فوهته وقال وهو يدير نظراته بين وجوهنا المتسائلة المتلهمة.

.. إنكم رجال .. كلكم رجال .. ونحن نثق مشجاعتكم

وإخلاصكم .. لقد كان كل ما حدث مجرد اختبار .. أردنا فقط أن نعرف ماذا ستكونون عليه عندما تمحين المعركة الفاصلة.

قال هذه الكميات ثم حمل رشاشه وانصرف مسرعاً، فقد ربح
الكثير من الجود وألقى بعضهم بحودته الحديدية على الأرض في
حقن .. وحلّس البعض الآخر في مكانه ينفخ من الغيظ .. أما أنا
فقد شعرت أنني أدور حول نفسي دون وعي مني إلى أن ارتطمت
بزميلي الصعيدي الذي أخذ يصيح ويلوح بيديه في الهواء :
- وماذا كنتم تفعلوننا سقعل .. ترك المعركة وتنام ؟؟ ..
- ليثني قصيت هذه الليلة في الشخير !!



الاثنين ٢ يونيو ١٩٦٩

- آثرت اليوم في تلك الليلة مبكرا رغم اشتداد طلقت المدفعية،
ورغم الصوت المزعج لانفجارات قذائف العدو، شددت أطراف
الغطاء لأخني وجهي من هجوم البعوض ورحت أغط في نوم عميق،
لكني فوجئت بخطوات ثقيلة تتجه نحو الغرفة، ثم ضربات قوية على
الباب الذي كنت قد أحكمت إغلاقه، صحوت قلقاً، نظرت إلى
ساعتي بعد أن أشعلت عود ثقاب. كانت العقارب تشير إلى الثانية
ولثالث بعد منتصف الليل. زعق الطارق بصوت عال.

- قم .. هناك جرحى في كتيبتنا ..

قفزت واقفا وجسدي يرتعش، وأعددت حقيبتي، وبعد
لحظات قليلة كنت قد أحكمت الخوذة على رأسي، وصحبت
الجندي الذي جاء ليستدعيني في الطريق إلى العربة التي تحمل
الجريح، وكان قد تكوّم في صدوقها وهو يصرخ بصوت عال من
شدة الألم، قفزت إلى جواره وأمرت السائق بالتحرك إلى
المستشفى العسكري الذي يبعد حوالي ١٥ كيلومترا عن مواقعنا،
أخذت أضمد جراح الجندي وأضع الأغذية تحت فحذه حتى
أريحه قدر المستطاع .

قال الجندي الذي جاء ليستدعيني مشيرا إلى المصاب ..

- إنه وطني أكثر من اللازم...

تعجبت وقلت : ما الذي تقصده ؟

- احتسى جميعنا بالحنادق أثناء الاشتباك .. إلا زميلنا هذا .

قرر أن يعف سلاحه حراسة على المنطقة ..

قلت مقاطعا لياه :

- جندي شجاع...

ضحك وقال :

- وطنية حائبة لا داعي منها

كدت أفدعه من صندوق العربة لكن صيحة عالية من جندي
الحراسة حالت دون ذلك... اقترب الحارس يسألنا عن كلمة
السرى، فأخبره السائق بها ثم أضاف :

- معنا جريح يترف...

أشار إلينا جندي الحراسة بالمرور...

تحركت العربة .. نظرت للجندي بجوارى في ظلام الليل
الحالك .. ووددت أن أكمل حديثي لولا أن الجريح صرخ
بشدة، قمت إليه وأسندت رأسه إلى صدري وأمسكت بيدي
الجراح التي تترف من ماقه حتى وصلت بنا العربة إلى المستشفى،
فسلمناه وعدنا مسرعين ينحيم علينا الصمت والسكون.

نظرت إلى ساعتى كان ضوء الفجر قد تسلل على سطح بحيرة
المتلة، وكانت الساعة تشير إلى الرابعة والنصف، فقررت أن
أقضي بقية الليل ساهرا حتى الصباح...

جاءني ذلك الجندي الذي إصطحبني في أول الليل وكان يبدو

عليه الأرق . وقال :

- لا أستطيع النوم ...

قلت له :

مارأيك أن تتحول مع شروق الشمس في هذه القرى
المهدمة ..

واقفني سريعا فقصيا صامتين يليل أقداما ندى الصباح ، ويطير
من جواربا الأوز الري ، وتمرق عربات التعبين مسرعة ، دخلنا
إحدى القرى ، كدت مهدمة تماما ، اقترنا من إحدى الترع التي
تنمو بها الحشائش الكثيفة ، نفدت إلينا رائحة كريهة للمعاية ..
بقربنا نستطلع الأمر .. قلت :

- يبدو أن أحد الكلاب قد أصيب بشظية قاتلة ...

اقترنا أكثر ونسمرت عيوننا وتجمدت أطرافنا عن الحركة ...
كدت أصرخ ولكني لم أستطع ، فقد كان أحد الجنود ملقى في
الترعة مخفضنا سلاحه وقد اخترقت جمجمته شظية من شظايا
العدو ، كانت الجثة متممة تماما ، ملابسه قد صبغها شحوم جسده
والديدان الصغيرة تهال على كل مكان فيه ، ويبدو أنه قد أصيب
منذ شهر تقريبا ، حين فقد العدو صوابه وحطم القرية عن آخرها ،
كانت جثته ملتنصفة تماما بقاع التربة . عندما أفقت من هول
المفاجأة ، قررا أن أرى أوراقي ، نزلت إليه ، ملدت يدي إلى أرلار
سترتة فوجئت بصديري فلاحني نحت ، ومن أحد جيوبه الكبيرة
أخرجت لماعة من الورق وقد نشرت تماما بشحوم جسده ، كان
الدود يقمز بين يدي وأنا أفتش بين الورق عن كلمة لم تنمحي بعد ،
وقعت على بطاقته ..

قرأت :

الاسم

المهنة : فلاح ..

البلدة : أبو صوير

تاريخ الإلحاق . سنة ١٩٦٧

وعلى البطاقة من الخارج كتبت تلك العبارة (المقاومة الشعبية) .

نظرت في صورته لكنها كانت مطبوعة تماما ، قررت أن أرى وجهه الحقيقي ، شددته من كتفيه ونظرت إلى وجهه فلم أتبين له أية ملامح مطلقا ، فأسندته من حديد وفقرت من الرعدة إلى حافتها حيث كان يقف مرافقي ذاهلا... قلت له :

ما رأيك .. ؟؟

فانتلع ريقه بصعوبة وقل والدموع تهبط غزيرة من عينيه المحمرتين ..

- كلهم أبطال يا أخي... كلهم أبطال...

(*) الساعات العسكرية المكلفة بحمل طعام الجنود قبل ترزيهه عليهم

الأحد ١٤ سبتمبر ١٩٦٩

هو عامل خرطة في أحد الورش ولكنه الآن يعلق شارة الحمة الحمراء في أعلى ذراعه الأيمن وداحل السرة يضع كرامة منسوخة الغلاف، لا نستطيع أن نقرأ عليها إلا هذه الكلمات (المؤلف والكاتب الكبير المقتل . .) . في كل صباح ينحه إلى أشجار الخيل التي تحيط المبني وينزع منها جريدتين ويتجه إلى مكان بعيد ثم يحني لشتري جريدتين كان قد غرسهما من قبل ليضع الاثنين الخضراوين ويقف قليلا وينتم ثم يعود إلى قدور الطعام* ويحني عليها لينظفها.

أحيانا عرفنا سر ذلك الحادي . في ذلك المكان الذي يتجه إليه كل صباح يرقد أحد الكلاب . كان قد مات اثر إصابته بشظية من شظايا العدو ، فحملة ودعه وظل وفيا لذكراه . مواظبا على عرس الأوراق الخضراء فوق قبره ..

جاءني أحد الجنود يلح في كتابة خطاب له ، انطلقت المدفعية المضادة للطيران تصع آلاف النجوم في عر الظهيرة ، طائرات العدو تلي قنابلها على المنطقة ، ألقيت بنفسي وزميلي في الحندق ، كانت الورقة ماتزال في يدي ، أصر أن أكتب له الخطاب فقلت له :

- أليس من الواجب أن نأخذ حذرنا أولا من الانفجارات
الدائرة .

قال :

- أكتب لي .. ربما يكون هذا آخر خطاب ..

فأسكت يدي بالقلم وثبت الورقة وأخذت أكتب والأرض
تهتز من شدة الانفجارات حولنا ، كانت عينه تنفوسا في الورقة
محاو لا قراءة ما أكتب .. قال :

- اكتب لهم .. إني قريبا سأحضر لهم رأس موشي ديان

تعحيث . قال :

- فلاحو قريتنا يستحلفوني أن أحضر لهم رأس موشي ديان ..
أسقطت طائرة من طائرات العدو قطعة من جسدها وأسرعنا
مع بعض الجنود إليها ، طلقنا الأسلحة الصغيرة توجه إيسا ، رقدنا
على الأرض وظلنا نرحف ، انفجر ذلك الجزء واحترق قال
أحدنا .

- لا بد أنه الحزان الاحتياطي تخلصت منه الطائرة .

في المساء توقفت إحدى العربات الزل . لتفرغ حمولتها من
طلبة الجامعات المتطوعين لخدمة الجبهة . التف الجنود حولهم وهم
سعداء للعناية .. وقالوا :

- إن الشعب مارا يتذكرنا .

قال بعض الطلبة :

(*) مع من السيدات العسكرية الروسية المخصصة لنقل الجنود

- جئنا لترفع رءوكم المعنوية ..

صديقنا تلك الكلمة ، فنحن لا نريد الثروة ، وفي الليل دارت مناقشة طويلة، جنود الحبهة يصرون على إقناع الطلبة بأن العمل الرئيسي لهم يجب أن يكون إعداد المخاب وتحصين المنطقة، ثم بعد ذلك يمكن أن يكون هناك حوار فكري .. تأفف البعض من الطعام، وقال واحد من بينهم:

- كنا نضل الحبهة أحسن من ذلك ..

قنا لهم :

- فلنعملوا ما في استطاعتكم حتى تكون كما تتمنون ...

لا يجب أن يكون الكلام هو ثروتنا ، بل العمل ، إن رصاصات العدو هي أبلغ من كل ثروة فهي تعلمنا كيف نكيل له الضربات ، وهذا هو علاج العصية .. قال واحد منهم :

قال لنا قادة الاتحاد الاشتراكي أن مهمتنا هي أن نرفع روح الجنود المعنوية وأن نعلمهم . لكن يبدو أننا سنتعلم منكم ، وأنكم أنتم الذين سوف ترفعون روحنا المعنوية .

سأل طالب بعض الجنود المتحمسين عن مهنتهم قبل التجنيد :

- مزارع

- صائق أجرة

- عامل خراطة

- طالب ..

الأربعاء ١٧ سبتمبر ١٩٦٩

تمكنت إغارات الطيران الاسرائيلي على مواقعنا من إلحاق
حسائر فادحة بالفلاحين ، ورغم ذلك أصر البعض منهم على البقاء
ولكن هؤلاء تركوا القرية وعاشوا في العراء وسط مزارعهم ، ومنذ
أسبوع انقطعت المياه عن التربة الوحيدة التي تروي أراضي المنطقة ،
سقطت فيها أكثر من قنبلة وقذيفة مدفعية ، تدفقت منها المياه العذبة
إلى البحيرات المالحة ، وجفت التربة تماما من الماء الصالح للري .
وكان قرار باقي الملاحين هو الرحيل إلى محفظة الشرقية بحثاً
عن الرزق في أرض أمة . أصبحت المنطقة خالية منهم تماماً ،
الزروع الأخضر يذبل ويتساقط من العطش . أحد الملاحين
ترك حماره الذي أصيبت إحدى أرجله بشظية إصابة خفيفة ، الحمار
يتحول وسط الحضرة الدالة يأكل ويتام ويحري مدعوراً عندما
تنطلق المدفعية تدوي وتعلو انفجارها ، كنا نحس بالألم ، وبثنا نشعر
أن دبول لروع في أرضنا الطيبة هو دبول في نضرتنا أيضاً ، وجفاف
للسماء التي في هروقتنا .

أصبحت الأرض مفقرة والقرية أطلالا تملؤها الكلاب ،
نسكن فيها ونسائل ، حتى القطط تكاثرت بشكل ملحوظ ، باح
الكلاب لا ينقطع ، أصبح يشكل ضرواً بالنسبة لنا ، ففي الليل
الحالك لا يتوقف نباحها ، همس لي أحد الجنود ذات مرة :

- هذا النباح أشد فيه .. ربما يكون أحد جنود العدو قد تسلل إلى منطقتنا ..

ويزداد النباح وتزداد الشكوك ، لكن الكلاب تؤس لمنطقة وتجعل للأطلال المهتمة قيمة ، فنادها بشعرا بأن هناك قطعة من ريفنا مازالت موجودة .

قرانا لمهتمة تسكنها الكلاب والقطط وجيوش الذباب تطن في شوارعها ، في أحد البيوت قد تجد فأسا تأكث من الصدا ، أو جاروفا أو منجلا معلقا على الحائط ، لا بد أن صاحبه يصر على العودة . اتفقنا فيها بيتنا ألا نعث في الأدوات الزراعية التي تركها أصحابها ..

وفي هذا الصباح كنت أقف داخل الحندق .. مجموعة من الرجال تمر باقرب مي . لم أصدق عيني ، دعكتها بكفي مرات حتى أرى بدقة . قفزت حذر من الحندق . كانوا مجموعة من الفلاحين يحملون القووس والعصي ، ألقوا عني تحييمهم ، فرحت هم وأنا أكاد أطير من الفرحة .. قال أحدهم :

- حثنا لتررع الزراعة الشتوية ..

قلت :

- والمياه ؟ ..

قالوا :

- سندهب وبصلح ما أصاب التربة من تخريب ..

ورغم أن الاشتباكات تجددت ثانية في تلك الساعة المبكرة .. إلا أنهم قرروا الذهاب على الفور إلى التربة لإصلاحها .. وهم

يقولون بعزم

— إذا أصابتها مدعية الإسرائيليين فسوف نصلحها مرة ثانية
وثالثة وعاشرة إذا لزم الأمر. بعد دقائق تسرب النبا إلى جود
المنطقة .. كل من يلتقي بصاحبه يقول له في فرح شديد:
— ألم تعرف ..؟ .. لقد عادوا ثانية ..

ويسأل زميله :

— من؟

فيجيبه :

— الفلاحون ... !!!



السبت ٢٠ سبتمبر ١٩٦٩

كانت أشعة القمر تتسلل داخل القرية المهذمة ، وكان الهواء
المعش بهب علينا قادم من بحيرة المترلة ، وجندي الإشارة يتجه
مسرعا ليبلغ الجنود قاتلا :

— الليلة ستعبر من أماننا وحدة من قواتنا الخاصة .

ونحن نفهم أنه في ليالي العبور يجب أن تظل جميع أسلحتنا
على أتم استعداد حتى الصباح وحتى تنهي قواتنا الخاصة من تنفيذ
مهمتها .. جنود المدفعية في بقطة تامة وعلى استعداد في أية لحظة
لإطلاق النار على مواقع العدو في سيناء ..

زميلنا الذي يرقد على حافة القضاة وقد خبا التليفون الميداني
تحت معطفه العسكري حتى لا يسمع صوته أحد من جنود
العدو .. يجيشا صوته عبر الأسلاك قاتلا :

— وصل جنودنا .. إنهم جاهزون للعبور .. يدخلون بغزارة
وبعضهم يدندن بأغنيات عن الوطن والأهل ...

ارتعشت أجسادنا ونحن نحمل أماننا بطول الحنادق وأسلحتنا
على أتم استعداد للاشتباك ، اهتر التليفون من جديد . وقال زميلنا
الرابض على حافة انقنة عبر التليفون الميداني :

— الصمت يخيم على الجميع الآن إلا من رشقات أكواب

الشاي وتدخين السجائر .

- لحظة الصفر اقترت .

إحتضن كل منا سلاحه وتمسك ذخيرته .. انطلق الجندي النوبي الأسمر الذي يقف بجواري في الخندق يغني بالنوبة أعية م أفهم معناها ، لكنها كانت مؤثرة للغاية ، دق جرس التليفون ، سكت الجندي لنوبي وقال الذي على شاطئ القناة :

- الآن يعبر مياه القناة الزورق الأول يحمل رجالنا .

وكانت تصل أذاننا صيحات خافتة تقول .. ربنا معكم .. ربنا معكم ..

لم نمالك عواطمنا .. انطلق الجندي النوبي يغني من جديد ، صوت خرفشة في الحشائش لقريبة منا ، أحد الجنود يرحف يستكشف الأمر ويعود قائلاً :

- إنه أحد الكلاب .

التليفون يلق من حديد :

- القارب الثاني يحمل رجالنا عبر مياه القناة .. كونوا على استعداد لتحملوا ظهور الرجال . رعداً في يقظة تامة .. عيوننا تحترق الطلام والجدران المهتمة . آذات تصفي لكل حركة .. قال الذي بجواري :

- لو كنت معهم .. إنهم أبطال ..

قال آخر .

- نحن نسند ظهورهم أيضا .

فجأة انطلقت قذيفة تصفر في الفضاء ونعب القناة لتنفجر في

قلنا :

- لابد أن العدو اكتشف العملية .. إذا ستكون ليلة مشهودة قتال بالسلاح الأبيض وقاتل بالمدفعية ، كنا نتمنى أن نفكر من حادقنا إلى سبب لكون مع هؤلاء الرجال ، إن رؤوسنا تكاد تنفجر ونحى نفكر فيما يفعلونه الآن ، هل أصابوا الهدف فأطلق العدو هذه القذيفة من مدفعيته ، مدفعيتنا تلتزم الصمت ، غرقنا في الاستفسارات ، طلقة مضيئة من العدو تبعد الطلام تماما ، أصوات عديدة تتسابق لتلي الأوامر إلى المدفعية بالتزم التوقف عن إطلاق النار ، نعم حتى لا يعيق التصف رجالنا في تضاحكهم مع العدو ، مرّت ساعة ، ساعتان ، إنطلق رميلنا لنولي يغني من جديد ، قال لابد أن الرجال يكيلون لعدو ضرباتهم المتلاحقة مادامت مدفعيتنا لم تشتك حتى الآن .

دق التلفون جاء ما صوت الجندي الذي يرقد على شاطئ القناة .. قال :

عد الزورق الأول والثاني الجنود يقبلون بعضهم بعضا .. يحملون اثنين من الجرحى . يقولون لقد دمرنا الهدف ، وزرعنا المتفجرات في كل مكان .. وفي خنادقنا كنا تبادل القبلات .

كان الليل قد أشرف على نهايته وضوء النهار يكتسح أمامه ما تبقى من سواد الليل ، لم أستطع النوم ، وكذلك زملائي أيضا .. كنت نود فقط أن سترج لكننا فوجئنا بالمدفعية المضادة للصيران تنطلق بشكل صارخ ، وانفتحت إلى السماء لسجد طائرات العدو

تخلق على ارتفاع شائع.

قلت:

- لا يهم لقد أصبنا الهدف .. والدليل هو هذا الهجوم
المحرم .



الاثنين ٢٦ سبتمبر ١٩٦٩

أصبح من الواجب على الإنسان منا وهو يمشي بمحاذاة القناة أن يكون حذرا ، ففي بعض المناطق الممتدة بطول الجبهة يرقد بعض القناصة الاسرائيليون يتحرشون بعرباننا ويطلقون عليها الرصاص ، وكثيرا ما كان السائق يسرع بسيارته حتى يتبعد عن المبنى المؤثر لطلقات العدو . في ذلك الوقت يعتج جندي القناصة المصري نيران بتدقيقه على الجندي الاسرائيلي فيمر ويختبئ خلف الدشمة ، ولكنه يعود من جديد ، لذلك فلا بد أن تأخذ حذرنا في تلك المناطق .

مرت فوق رؤوسنا طائرتان بالعدو ، قابلتها مدفعيتنا المضادة بعنف فعادتنا من جديد وأنقنا بحمولتيهما من المتفجرات في مياه القناة . المدفعية الثقيلة للعدو نفتح فوهاتها علينا . اختبأ كل منا في أقرب مكان ليحمي نفسه من الشظايا المتطايرة الفلاحون أيضا يرقدون على بطونهم فوق الأرض التي يستزرعونها بلا حراك ، وبعد أن ينتهي الأشباك تعود الحياة من جديد ، يفلح الفلاح أرضه ، ويذهب كل جندي إلى حيث يقصد وكأن شيئا لم يحدث كان الطريق طويلا ، وكان العرق ينصب منا محتظا بالرمال والتراب ، وبعد مدة غير قصيرة لحقت بنا إحدى السيارات العسكرية ، استوقفتها وألقينا بأحسادنا داخل صندوقها ، تشكيلة

مختلفة من الجنود... ذاك يلبس الخوذة الحديدية وفي يده سلاحه، وهذا بملابس الإجازات ومعه لفافة، وذاك يحمل كيسا للبريد، وآخر مستغرق في قراءة جريدة تطل منها صورة كبيرة عن الحائزة التي أقيمت للمقدم البحري الذي استشهد في المعركة حول جزيرة «شدوان».

قال جندي البريد :

— أليس هناك غيره استشهد في المعركة؟؟

قال الذي بجواره :

— هم يهتمون بالرتب الكبيرة فقط ، فهم وحدهم الشهداء ، أما نحن فكلاب أولاد كلاب .. ثم بصق ، وطارث بصقته من صندوق العربية إلى عرض الطريق . قال جندي كان يجلس معنا :

— استشهد الكثيرون من الجنود أمثالنا ، فلماذا لا نحفل بهم .

أليس ذلك عجيبي؟؟

حسم صاحب الجريدة الحوار ، فقد مزقها وألقى بها إلى الطريق .

عند إحدى نقط تفتيش الشرطة العسكرية توقفت العربية ، ولمحنا أحد الجنود على البعد يجري نحونا وهو يزعم طالبا أن يركب معنا . امتدت الأيدي تمسك به حتى ألقى بجسده معنا داخل صندوق العربية ، وما إن اعتدل في جلسته حتى برزت علامة معلقة على كتفه كُتب عليها (الاستطلاع) ، والذي لفت نظرنا أكثر أن هذا الجندي كان يحمل معه بندقيتين آليتين ، واحدة نظيفة جداً ، والثانية يعلوها الصدأ بشكل ملحوظ وكذلك جراب الذخيرة وقد صدأت الذخيرة

بداخله فصبعته بلون بني قاتم .

قلت في نفسي لا بد أن للبندقية قصة هامة ، فإما أن صاحبها قد ألقى بها في أي مكان وهرب ، أو أنها انتشلت من الماء ، ولما لمح الجندي ما يعلو وجوهنا من علامات الدهشة والاستعصار نظر إلينا نظرة اختلط فيها الحزن بالفخر وقال :

— الله يرحمه .. مات شهيدا بحق ..

قلنا له في صوت واحد :

— من ؟

قال وهو يمسك بالبندقية الصدئة ويفها في يده :

— صاحب هذه البندقية .

ارتعشت أجسادنا واقشعرت ، وطلبنا منه أن يتكلم ... قال :

— تذكرون العور الذي حدث في جزيرة «البلاخ» منذ

أسوعين ؟ ..

قلنا : بذكر ..

قال لقد اشتركت في هذه العملية أنا وزميلنا الشهيد ، كنا بعد أن عبرنا القناة متسريين بظلمة الليل في مهمة لاستطلاع قوات العدو المواجهة للمنطقة ، وبعد أن حصلنا على المعلومات المطلوبة وزرعنا الألغام اللازمة ، عدنا من جديد والظلام الدامس لا يسمح للإنسان بأن يرى قدميه وهما تمشيان على الأرض ، لكننا سمعنا أصوات همس خفيفة فامتدنا وفتحنا نيران بنادقنا ، وأطلق العدو طلقات طائشة . كان علينا أن نتسحب على إثرها بسرعة ، وعادت

القوة تعبر القاة إلى الضفة الغربية من جديد بينما ظل زميلك يستمر
عملية الانسحاب بطلقات متوالية من بندقيته ، مرّ أسبوعان كاملاً
بعد ذلك ، وبعضنا يخمن أنه أسر والبعض الآخر يظن أنه ربما
يكون قد قُتِلَ.

وفي هذا الصباح كنت ومجموعة من زملائنا في الاستطلاع
نتحول محذر على شاطئ القاة ، فظهرت أمامنا جثة أحد جودنا
طافية على سطح الماء ، فزلنا إليه وحملناه .. وكانت مفاجأة
مذهلة لك ، فقد كانت جثة زميلنا وكان في وضع استعداد قابضاً
على بندقيته هذه ، قالها وهو يحرك أمام أبصارنا البندقية الصدئة ثم
التفت إلينا وقد أنصتنا جميعاً إلى كلماته دون أن نلقي بالا لمطبات
الطريق التي كانت تتقاذفنا بقسوة .. ثم واصل حديثه وقد ثبت
بصره على فوهة البندقية :

— كان قابضاً عليها بقوة وفي الماسورة طلقة ، ثم أخذ يرين
الطلقة .

— لم تنطلق كما كان يجب ، فقد سقط في الماء وفي رأسه
رصاصة واحدة وظل في القاع لمدة أسبوعين.

وصمت فم بعد هالك شيء يمكن قوله ، العربة مزالّت تتروهي
تقطع الطريق بسرعة توقفت .. نزل الجندي وقد احتضن
السلاح الصديء تحت إبطه ، ومضت العربة ثانية ونحن ننظر إليه من
الخلف والبندقية بارزة من تحت إبطه لا تحتوي عن أنظارنا ..

الأربعاء ٢ أكتوبر ١٩٦٩

مازلت أذكر يوم أن توقفت لعربات العسكرية لتفرغ حمولتها من شباب الجامعات المتطوعين لخدمة الجبهة في وحداتنا المقاتلة منذ خمسة عشر يوما. قال لي رئيس اتحاد طلاب إحدى الكليات الأزهرية :

- نحن لا يهمنا الموت .. نحن نريد ان نتعاون مع جنودنا
البواسل وفي أي مكان .. سألته

- كم طالبا جاؤوا إلى الجبهة ؟

قال :

- من جامعة الأزهر فقط خمسمائة طالب قبلناهم من بين
١٥٠٠ طالب تقدموا لخدمة الجبهة ، وكانت مشكلة تخلصنا منها
عن طريق الكشف الطبي .

والحقيقة أنه من أول لحظة اندمج طلبة الجامعة مع المقاتلين ،
حمل كل طالب العأس والمحرفة وأخذ يعمل حتى تصيب منه العرق
غزيرا ، وكلما طلب منهم الجنود أن يستريحوا قليلا قالوا في حماسة :
- راحتنا في أن نضع على ملاجئكم أكبر كمية من الرمال حتى
يمكن أن نحميكم من شظايا العدو .

ونمت لهيب الشمس المحرقة تجد طلبة كليات الطب والعلوم

والهندسة وهم يحملون القنوس ، ويقسمون أنفسهم إلى مجموعات ، فهؤلاء يحفرون الملاجئ ، وهؤلاء يعمقون الخنادق ، وهؤلاء يساعدون الجنود في تمويه المنطقة ، وعنى سيارات توزيع الطعام تجد طالب اللغة العربية وأصول الدين يقوم بتوزيع الغذاء على الجنود أو يحمل على ظهره قطع الخشب وأحولة الأرز إلى المطبخ وهو في غاية السعادة .

وعندما تسدل ستائر الليل على الجبهة ، فإنها تكون مظلمة للغاية ، خابية من أي بصيص من الضوء لكن عيون الآلاف من جنودنا تحترق هذا السواد الخالك والأيدي على الزناد تحرس أرض الوطن من تسلل العدو ومن عدره . ودخل الملاجئ المحصورة بعمق تحت الأرض ، وحول الضوء الخافت المنبعث من مصباح صغير ، يجلس الطلبة والجنود في دائرة واسعة وهم يرتشفون أكواب الشاي ، ويدور حديث حميم عن مشاعر الشعب وثقته في جنوده ، وكثيرا ما يلهب الحديث عن حرج مصر الغائر ، وعن قضية فلسطين ، وعن الاشتراكية ، وكيف نسحر كل إمكاناتنا من أجل معركة الخلاص .

في مكان آخر تمكن طلبة الجامعات من تنظيف أحد المساجد المهذمة ، ثم دعوا الجنود إلى الصلاة ، وبعدها دار نقاش أيضا حول لجهاد في الاسلام ، لقد ذابت تناقضات كثيرة أمام قضية الوطن الكبرى ، أذابتها صورة طالب الجامعة وهو يقوم على خدمة طاقم المدفع بروح أخوية وشعور وطني صادق ، في الوقت الذي كانت هذه الخدمات البسيطة تؤثر في الجنود وتدفع فيهم حماسا وإيمانا بشعبهم يحتاجون لأن يلبسوه بين الحين والآخر .. قال أحد الجنود :

— لقد مرّت خمسة عشر يوماً مريعة متوالية

وحين حلّ الوقت الذي كان على الطلبة أن يشدوا فيه رحابهم إلى مدنهاهم وقراهم .. كان فراقاً قاسياً .. احتضن شباب الجامعة الجنود وقبلوهم في حرارة وشدوا على أيديهم وسالت فيه الدموع حارة . وانطلقت العربات من جديد تخرق المواقع الامامية على طول الجبهة متجهة إلى حيث سيرحلون حاملين تحيات المقاتلين وخطاباتهم لطمأنة الاهل والأصدقاء ..

كم سيكون رائعا حقا أن تتكرر تلك اللقاءات لخدمة الجبهة ، فترسل القرى فلاحها لخدمة الجبهة أسبوعين أو ثلاثة ، وترسل المصانع بعض عمالها وفيها أيضا ، إن ذلك سيرفع الروح المعنوية للجنود ولن يشاركوهم حياة القتال على الجبهة بنفس الدرجة .



الثلاثاء ٢١ أكتوبر ١٩٦٩

- توقفت العربى .. ألقى بحسده معي داخل صندوقها ، ثم تكوّم في أحد الأركان ، تحركت العربى في سرعة شديدة فنحن نمر أمام منطقة يتمكن منها العدو ، ويستطيع أن يصينا حتى بأسلحته الصغيرة .. تهد زميلي وزفر بصوت عميق :

- يارب .

ثم تكوّم من جديد ، عيناه متورمتان يبدو عليهما التعب والإرهاق الشديدان ، كنت أفكر فيما يمكن الحصول عليه من الأدوية اللازمة للمجنود ، كنت عارقاً في خواطر عديدة ، لكن ذلك الجندي جذبني وشدني من خيالاتي ، كانت العربى تتكتك ورائحة البنزين تملأ أنوفنا ، هي والتراب المنعث إثر حركتها ، الجنود مرابطون خلف المدفعية للطيران أحدهم يمسك المنظار ويدقق النظر باتجاه العدو ... باتجاه العدو ..

التفت إليّ الذي معي بصندوق العربى وقلت له :

- هل حدث لك شيء؟؟

قال وكأنه يجتني شيئاً :

- لا شيء ..

قلت :

- لا نحسب شيئاً في نفسك .. قد تموت الآن مطلقاً واحدة.

فكّ يديه المعقودتين حول ركبتيه وقال :

- هل سمعت عن عبور الليلة الماضية ؟

قلت :

- سمعت ذلك من الراديو وعرفت من الجرائد أيضاً... قالت الدوائر الرسمية أن العملية نجحت تماماً وعادت قواتنا سالمة ماعدا جنديين.

وأضفت :

- لكننا لا ندرى هل استشهد الجنديان أم ماذا حدث لهما.

قال الجندي وقد احمرت عيناه وتساقطت منها الدموع :

- لقد كنت في عملية عبور الليلة الماضية ، كنا أكثر من مائة

جندي تحت قيادة أحد الضباط، عبرنا تحت حنج الضلام محمدين بالعبوات الناسفة والألغام والأسلحة الصغيرة مكفين بمهمة استطلاعية عن العدو ، كان الجو باردا ومياه القناة أشد برودة لكننا كما نحس بدفء عجيب ونحن نضع أرجلنا على أرض مينا .. مرت بنا ساعات عديدة ونحن نتجول في مواقع العدو الأمامية .. دون أن يعترض أحد ، وزرعنا الألغام التي حملناها وحصلنا على المعلومات المطلوبة ، قرر البصاط العودة إلى الضفة الغربية وأصلر أمره بالانسحاب ، وعدنا ، كانت الدنيا أكثر ظلاما من دي قبل لكننا كنا نرى أرض مصر وتعرف أرجلنا الطريق إلى كل شبر فيها . مدّ يده ليفك أزرار الستره العسكرية القديمة التي يرتديها ، وأخرج علبة صفيحية صدئة ، وأخذ يلف سيجارة ، ثم أكمل حديثه ، كنت منصتا له حتى أنني لم أعر انتباهها لأي شيء قد يحدث من حولنا ... قال :

- قلت لك إن أرض الوطن غالية ، كنا نمشي في حسرة ونحن
عائدين تلفنا ظلمة الليل، وفجأة انطلقت الرصاصات من كمين
للعدو ، فانبطحنا جميعا على الأرض وصوبنا أسلحتنا في اتجاه
الطلقات ، قال الضابط أسرعوا في العبور إلى الضفة الغربية ،
أصيب جندي ولم يستطع المشي ، أخذ يزحف ، وسمعنا صوت
عربات مدرعة للعدو تقترب ، يبدو أن الكمين أبلغ قوات العدو
بوجودنا وكان يجب أن نعبز القنذة إلى مواقعنا بسرعة فنسينا كل
شيء ، وأثناء عبورنا سمعنا زميلنا المصاب يزعم :

- يارب ... يارب ..

عاد إليه أحد الجنود مسرعا ليحمله .. حاصرهم العربات
المدرعة للعدو ولا تعرف هل أسرا أم أصبحتا شهيدين .

قلت له :

- إن وراء كل خبر عسكري قصة بطولة استشهاد .
قال :

- هل سيعرف الناس ذلك ؟

قلت :

- لابد سيأتي يوم يعرف فيه الشعب كل الحقائق ..

توقفت العربة إثر صيحة عالية من أحد الجنود معترضا طريقها ،
قال الجندي للسائق :

- كيف تتحرك وهناك عمليات الآن ..

وعندما سمعنا ذلك قفرنا من الصدوق إلى الأرض مسرعين

إلى أي مخبأ أو ملجأ نخفي فيه ، فقد كانت طائرات العدو تغير على مواقعنا في تلك اللحظة ، الطائرات تسقط حمولتها من المتفجرات وتفر هاربة من طلقات المدفعية المضادة ، وبعد دقائق توقفت صراخ الهواء ، إذا لقد فرت الطائرات ، خرجت أنا ورميلي إلى الطريق ، صراخ ينبعث من القرية القريبة منا ، اقتربتنا من الفلاحين وسألناهم عن الخبر فقالوا .. شظية قتلت إحدى الصبايا .. الجنود يضحكون في منطقة أخرى .. فقد سقطت إحدى القنابل بين تجمع من الكلاب التي كانت تجري مذعورة ، فقتلت عددا كبيرا والباقي أصيب بجراح . في المساء كنت قد عدت من مهمتي وقد أسكنتني أحداث النهار والكيلومترات التي قطعها العربة بطول القناة .

تمددت على البطانية وشدت بطانية أخرى فوق جسدي . أشعلت أحد أقراص الوقود الجافة بعد أن صنعت له علة تحمي ضوءه ماعدا فتحة تبعث بالضوء إلى صفحات إحدى الحرائد القديمة ، كان أحد الجنود قد أحضرها منذ يومين وهو عائد من أجازته ، تصفحتها في دقيقة ثم ألقيتها جانبا وانغيط يأكلي ... مازلنا نضحك على أنفسنا ، مازالت مشكلة المشاكل هي كرة القدم ، نظرت في ساعتي ، كان موعد نشرة الأخبار المسائية قد اقترب ، أدت مفتاح الراديو ، المذيع يقول كبدا العدو خسائر جسيمة ... أطلقت الراديو وشدت الغطاء حتى قف رأسي واستسلمت للنوم .

الخميس ٦ نوفمبر ١٩٦٩

... كانت هذه الليلة ساخنة غماماً ، على الرغم أن اشتباكاتنا مع العدو في تلك الليلة قد توقفت ، ولم يكن هناك إلا طلقات مضيفة يطلقها فوق حبتنا بين الحين والآخر ، ذلك لأنه يخشى عبور قواتنا إلى سيناء في ظلمة الليل ، في هذه الليلة كنا نعرف أن مجموعة من رجالنا مستعبر القناة بعد منتصف الليل إلى موقع للعدو في سيناء ، وعندما يجيئنا مثل ذلك النأ فإننا بالطبع لا يغمض لنا جفن ولا يساورنا النوم ، وكيف ننام وبعض رجالنا يستعدون لمقاتلة العدو في تمام الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .

مرقت عربتان يلقها سواد الليل ، كان ينبعث منها صوت غناء وتصفيق ، عرفنا أنها عملتان بالرجال المكلفين بالعبور هذه الليلة . قال رمبلا حندي الإشارة الراقدة على حافة القناة .

... الرجال يعبرون بأسلحتهم الصغيرة ، انهم سعداء للغاية .. وانتظرنا أنباء أخرى لكن شيئاً لم يحدث ، ومازالت الصلقات المضيفة التي يطلقها العدو وتضيء مواقعنا ، وبناء على ذلك فقد قررت لقوة التي عبرت أن تحتل مواقعها في سيناء حتى الصباح . وفي الصباح يطمئن العدو أكثر من الليل لأن الليل يشكل بالنسبة إليه شعباً رهيباً يمثل في رجال قواتنا الذين يزحفون في

الليل إلى مواقعه فيمزقون من تصل إليه أيديهم إربا . قال جندي
الاستطلاع الواقف بأعلى إحدى أشجار الكازورينا :

... دبابتان وعربة نصف مجتررة محملة بالأفراد .

لم يكمل كلماته .. فقد انطلقت رصاصات الرجال الذين عبروا
في السبل إلى سيناء ، إنهالت طلفات أسلحتهم كالصاعقة على العدو
ومعداته ، سمعت صوت انطلقت ، قال زميلنا الواقف بأعلى شجرة
الكازورينا :

... الدبابتان والعربة دمرت تماماً .. القوة نسحب .. يبدو أن
اثنين من الرجال قد أصيبا ، يحملها رملاؤهما وهما يعودان .

قلنا يجب أن نحكي الرجال وهم يمرون بعرباتهم على مواقعنا
في طريق عودتهم ، وبعد لحظات عادت عربتان تحمل كل منهما
زورقاً ومجموعة من الرجال يبدو عليهم الإرهاق ، ملابسهم مبللة
بمياه القناة .. يضحكون .. فقد انتهت المهمة بنجاح .

مرقت إثر اثنتين عربة إسعاف تجري بسرعة ... توقفت
بالقرب منا .. اقترنا .. قال الممرض ودموعه تتساقط :

... كانت فيهما الروح .. لقد استشهدا ..

كان جسد كل منهما مسجى على النقالة ... مبللاً بالمياه التي
اختلفت بالدماء إثر جراح نافذة ، كانت على وجه كل منهما
ابتسامة حزينة ، مات وهي مرسومة على شفطيه ، مدّ الممرض يده
وشد بطانية وعطى بهما البطلين ، وانطلقت بهما لسيارة إلى حيث
المستقر الأخير .

عجبية الحياة على خط النار ، لكل دقيقة قصة ، وفي كل وقت

يمكن أن يحدث شيء جديد غير ما يتوقعه الإنسان ، لذلك فإن
الفلاحين الموجودين بالمنطقة قرروا استزراع الأرض أيضا واتمسك
بها بدلا من الفرار كلما أحسوا أن قراهم في خطر ، وبين حين والحين
تجدهم يرسلون واحداً منهم ليطمئن ، فإذا عاد إليهم يحمل أخبارا
بأن المنطقة أصبحت هادئة ثانية فإسهم يعودون من جديد ، ولو
رأيت مثلي صرخات الجنود الشجاعة وهم يقفزون قفزا خلف
المدافع ويرفعون عنها شاش التويه ، وفوهات المدافع وهي تتحرك
إلى أعلى ، أو تنحني انحناءات خفيفة ، كل واحد منا يعرف تماماً أنها
توجه إلى هدف من أهداف العدو الكثيفة وتطلق منها الدنات تمزق
الهواء وتهز الأرض ، فسوف تعرف لماذا لم يعد الملاحون يهرون
خوفا من الانفجارات كما كان يحدث من قبل ، بل أنك سوف ترى
فلاحا يقود ثورين يجراا محراثا يحرق قطع الأرض الباقية من حقله
بعد أن احتلت مواقع مدعيتنا أعب مساحتها ، وهو يفرح بالسوط
في يده لبحث الثورين على العمل في الوقت الذي تكيل فيه
المدعية ضرباتها للعدو ، بعض النساء يحصدن الزرع ، والأطفال
الصغار يعملون في صيد الأسماك من البحيرة ، قد يتوقف البعض
أحيانا عن عمله - لا خوفا - لكن لكي يطمئن عما إذا كانت ضرباتنا
للعدو مؤثرة ، أو يعرف من ضربات العدو لنا مؤثرة أيضا ؟ وعندما
يطمئن إلى ذلك فإنه ينكب على عمله ثابتة ، وينطلق صوته
بأغنيات عذبة مؤثرة .

الأربعاء ١٢ نوفمبر ١٩٦٩

مع الرصاص ، وكلما اشتد القتال بيتنا وبين العدو ، كلما ارداد
تعلق الجنود وحهم للزعيم الثوري الراحل أرسنو جيفارا ... في
بعض الملاجئ تحدد الجنود يعلقون صوراً لهوشي منه ولجيفارا بسجتيه
الطلبقة وشعر رأسه الكثيف والسيجار في طرف فمه ، أو لياسر
عرفات وعلى رأسه عقاله العربي وفي أماكن أخرى يعلق بعضهم
لافتات كتبت بخط اليد تحمل كلمات جيفارا التي تقول « ليس هناك
جنود سينون إلا وفوقهم قادة أسوأ » ... وشعار آخر يعتز به الجنود
ويعتقونه في أكثر من مكان « الاشتراكي هو آخر من يأكل وآخر من
يأكل من يموت » .

وكلما أصبحت لغة الرصاص هي الحديث الأكثر فاعلية بيتنا
وبين العدو الاسرائيلي كلما برزت في الأفق صورة جيفارا وعندما
يدور الحديث عن فضاله يكون للحديث شحن وعذوبة ووقع
السحر على الجالسين وهم يتجادلون أطرافه ، في ضلام الليل الذي
ينجم على الجبهة .

والكثيرون يفتنهم الحديث عن جيفارا ...

لقد رأيت أحد المخاربين يطلق لحيته مثله ، وهو مفتول
العصلات حسن البنية ، يطلق عليه رملاؤه « جيفارا » ، وجيفارا
المصري لا يترك سلاحه من على كتفه ، ينام وهو يحتضنه كقطعة

غالية من جسده، وهو حاصل على ليسانس في الآداب، ولا يصبوب
سلاحه إلى العدو في الصفة الشرقية للقناة إلا ويصيب الهدف في
أغلب الأحيان.

قال أحد الجنود :

- لو أن جيفارا مزال حياً... هل كان سيأتي لمساعدتنا؟

قال جندي آخر:

- طبعاً جيفارا كان يحارب العدوان الأمريكي في أي مكان...

ويتجمع البعض وتدور مناقشة ، ومن وراء الملابس العسكرية
تعرف أن هذا حاصل على ليسانس الحقوق وهذا على كالكوريوس
تجارة أو طب أو هندسة... و... و...

كنت أحمل كتاباً من مذكرات جيفارا في بوليفيا ، وكان كل
من يراه معي من زملائي المقاتلين يتعلق به ، ويريد أن يقرؤه حتى
أصبحت مشكلة ، كان حثها أن تقرأها حسب أقدمية الطلب . قال
لي واحد منهم :

- إن كتابات جيفارا وأفكاره مثل الرصاص الذي نطلقه على
العدو .. إنها تدمره أيضاً ..

أليست تلك الظاهرة تحبه رثمة قدمها جنودنا على خط النار
للثائر العظيم أرنستوتشي جيفارا في الذكرى الثانية لاستشهاده .

الثلاثاء ١٦ ديسمبر ١٩٦٩

بالأمس أسقطت طائرتنا المقاتلة طائرة فانتوم للعدو إثر اشتباك جوي دام أكثر من نصف ساعة في سماء الجبهة ، كانت الطائرات تلاحق بعضها بعضاً ، وتطلق الصواريخ ثم تجري في سرعة جنونية ، وأخيراً سقطت إحدى طائرات العدو في كتلة من الدخان كوّنت عاموداً سقط من السماء حتى التصق بالأرض ، إذا فقط تحطمت أسطورة المانتوم وجبروته ، وقد زادت تلك المعركة من ثقة جنودنا بأنفسهم وبقدرتهم على تدمير معدات العدو .

في صباح اليوم اخترق بحالة الجوي عدد كبير من طائرات العدو في تشكيلات محددة لأهداف محددة أيضاً ، وفي ثوان قذفت بحمولتها من المتفحرات .. اهتزت لأرض نصف لتتحل قطعاً هائلة منها وتتناثر في الفضاء شطايا من الطين . جرى كل منا يضع الحوذة على رأسه ، ترك أحد الجنود قطوره وجرى الآخر وقد ترك نصف ذقنه دون أن يكمل حلقها ، حملت حقيبة الإسعاف على ظهري وجريت إلى أقرب حفرة ، فمن المتوقع أن تكون هناك خسائر في الأرواح . عندما عادت الطائرات من جديد ، كان جنود المدفعية المضادة للطائرات الرابضين خلف المدفعية الثقيلة لحمايتها قد فتحوا النيران الكثيفة حتى بدت السماء وكأنها في رائحة النهار مليئة بالنجوم البيضاء اللامعة .. طائرات العدو ترتفع إلى أعلى متجنباً

طلقات مدفيعتنا ، تحلق من جديد ثم تنقض بسرعة فائقة على الأرض لتسقط حمولتها الضخمة وتعود ثانية وثالثة ، وهكذا تحولت المنطقة إلى ظلام كثيف. الدخان يملأ المكان تماما والصرخات تعلو هنا وهناك ، عربة الماء تتوقف في الطريق ويقفز السائق في إحدى الحفر خوفاً من الانفجارات ، موجة أخرى من الطائرات تعود ، جنود المدفعية المضادة يوجهون مدفيعتهم نحو الطائرات المغيرة ، لكن الطائرات تسقط بوحشية كمبات ضخمة من المتصجرات وتفر هاربة .. بدأ صوت الطلقات المضادة يقل ويقل ، وترتب على ذلك أن النجوم البيضاء اللامعة كانت تقل في كثافتها هي الأخرى ، وكان الغبار والدخان كثيفان لدرجة أنها كانا يحجبان الرؤية لمدة طويلة .

توقعت أن سرايا المدفعية المضادة للطيران قد حدث لها شيء ما وإلا فلماذا توقفت عن إطلاق مدفيعتها ضد الطائرات المغيرة ، توجهت مع بعض أفراد كتيبتنا لتقديم المساعدة لأفراد سرية المدفعية المضادة للطائرات والتي من مهمتها الدفاع عن كتيبتنا من الطائرات المغيرة المعادية .

كانت رائحة البارود خائفة ، ورغم ذلك كان يجب الإصرار في مساندة وإنقاذ الأفراد المصابين قبل أن يعود الطيران الاسرائيلي من جديد ، وقبل الموقع بمسافة قصيرة رقدنا على الأرض حتى لا يرانا طيران العدو فيطلق علينا مدافعه «الفيكرز» ، وظلنا نرحف حتى توسطنا الموقع ، كان الموقع قد دمر تماما ماعدا مدفع واحد ، خمسة مدافع أخرى بأفرادها دكتها صواريخ الطائرات فتمزقت أشلاء الجنود مع المدافع ، وتحول الموقع إلى حفر عميقة غائرة في عمق

الأرض ، كان قائد الطاقم قد نرت ذراعه اليمنى وقد أصيب كتفه الأيسر بشظية أحدثت فيه جرحاً عميقاً ، وكان ييلو على وجوه الأفراد وقد غطاها التراب والدخان الدھول لما حدث لموقعهم .

أخيراً قرر الجنود أن يسحبوا من الموقع فقد دمرته طائرات العدو ولم يعد مجديا العمل مه ، وتحامل الجنود في مساعدة بعضهم بعضا وقد علق كل منهم سلاحه في كتفه إلا قائد المدفع فقد رفض أن يغادر الموقع ..

طلبنا إليه في إلحاح خوفا على جراحه التي تتزف بفرارة ، لكنه رفض ، وعندما طست إليه أن أضمد جراحه رفض أيضا وقال لي .

— لا داعي فقد نرت ذراعي . ضمد جراح الآخرين .
أراد أن يقنعني بأنه يتصرف بحكمة نامة فقال :

— ماذا سيفعلون بي أكثر من ذلك .. وما فائدة الحياة بلا

ذراعين؟؟

كانت عياه محترقین بنطلق الشرر مهباء وقد غطاها التراب والدخان الأسود . وعندما اقرب صوت الطائرات المغيرة تركنا لنأخذ الحرحى الآخرين إلى مكان بعيد أكثر أمنا . وفي هذه اللحظة رعد هو على ظهره وثبت أطراف المدفع بقدميه ، وعندما حومت الطائرات المعادية حول الموقع وتأكدت من أنه قد دمر تماما أقلعت من جديد بحثا عن موقع آخر ، وأثناء اندفاعها بعيدا لحقت بإحداها طلقات متواصلة من مدفع واحد كانت فوهته تطل من بين الدمار ، وخرج من إحدى أجنحة الطائرة القناتوم شريط من الدخان وجرت مسرعة لتسقط في سبناه ..

عادت طائرات السرب في جنون لتلقي بكل حمولتها على الموقع المدمر، وفي هذه المرة اختفت النجوم البيضاء اللامعة من السماء، وتوقف المدفع عن الطلقات، وعدن ثانية لنفخ الحديد بالروح عن الموقع .. اخترقنا دخان البارود الكشف والتراب العالق فوق الموقع إثر الانفجارات، وبصعوبة لحنا جثته وقد تمرقت أشلاء اختلطت مع حطام مدفعه، فأهلنا عليها التراب وغرسنا فوقها أحد أعواد النجيل الخضراء، وبعد أن فرغنا من مهمتنا، تطلعنا إلى سبنا لنجد أن عمودا من الدخان تتصاعد إلى السماء، قال رقيب أول الموقع وأنا أضمد له جراحه:

- إنه أسقط طائرة اسرائيلية .. لقد انتقم لنفسه.



الجمعة ١٩ ديسمبر ١٩٦٩

رغم أن القمر كان قد استكمل استدارته ، ورغم أن أشعته كانت تلون كل ما يحيط بنا في المنطقة باللون الفضي ، إلا أن ذلك لم يحرك مشاعرنا في شيء مثلما تحرك مشاعر الكتائب والهنئين والشعراء ..

فمع ضوء القمر عرفنا أن طيران العدو سوف يأتي ليلتي حملته من النامالم على مواقعنا في الجبهة ، وعندما يذهب القمر تذهب طائرات العدو ، ومثل الليالي السابقة كنا نستعد لمقاومة الطائرات المعيرة علينا في هذه الليلة ، لكن ساعات الانتظار والنوحس واللون الفضي للأشياء ، وأطلال القرية التي تحتلها كيبنتنا ، وحفيف أوراق النخيل ، ونباح الكلاب بين الحين والآخر ، كانت جميعها تملأ قلوبنا بالشجى والوحشة ، كان الحندق ضيقا ، وكنا أكثر من عشرة جنود نتكؤم فيه ملنصقين ببعضنا البعض حتى نحمي أنفسنا من البرد الراحف علينا من سياء ومن البحيرات الممتدة حلف مواقعنا العسكرية .

قال زميلي وهو يتحدثني من تحت البطانية :

— هل تسمع ؟ .. أصوات معدات العدو تتحرك في الصفاة الشرقية للقناة ..

قلت :

... يبدو أنهم يتحركون بالدبابات في دوريات حراسة خوفا من
عور قواتنا .

قال وكأنه يهمس خوفا أن يسمعنا أحد :

... إنهم يحصنون أنفسهم جيدا ..

ثم تكوّر تحت العذنية وقال :

... أقول لك صراحة .. العدو أصبح متمكنا من جديد ..

ألست تحشاه ؟

إقشعرّ جسدي لتلك الكلمات ، وإلى الآن لم يلتق بالعدو وجها
لوجه حتىّ تستخدم أنفسنا أو تسليحنا الشخصي في قتاله .

إنبعث من أحد أركان الخندق صوت شخير ، لقد نام زميلنا
النوبي وبندقيته تحت رأسه .. وفي تلك اللحظة انطلقت إحدى
الطلقات الصغيرة من بندقية أحد جنود الكتيبة المجاورة لكنيتنا
ولحقتها صيحة عالية :

... حرس سلاح .. حرس سلاح ..

وانتقلت الصيحات على ألسنة عديدة في أماكن متفرقة ، ودق
جرس التليفون الميداني ، رفع جندي الإشارة الساعة إلى أذنيه ، ثم
وضعها في الحال وصاح هو الآخر بأعلى صوته :

... حرس سلاح .. حرس سلاح ..

فنا مسرعين من الخندق يلكر كل منا الآخر ويستحثه ، لبس
كل منا خوذته الحديدية وأحاط وسطه بحزام الذخيرة وأعد الطلقات
في بندقيته أو رشاشه استعدادا للقتال . همس الذي يتكلم في

التليفون وهو يعد سلاحه أيضا ..

قال جندي الاستطلاع على القناة أن العدو يحاول العبور إلى الضفة الغربية بدباباته البرمائية .

ارتعشت أحسادنا .. كانت الطلقات الصغيرة تقطع وحشة الليل وصمته ، واحتمل أن نجيء المصائب إلينا في أي دقيقة بنجم على خواطرننا جميعا ، ولكن بعد أن أخذ كل واحد منا وضع الاستعداد غمرت نفوسنا موجة من الشجاعة لا حد لها ، وأطلق البعض طلقات متقطعة من أسلحتهم في الوقت الذي كان العدو يطلق فيه طلقات حمراء باتجاه خندق المشاة الممتدة بطول لقناة ، لكن مدفعية ورشاشات جنود المشاة الراصين على حافة القناة إنطلقت مرة واحدة بلا إنقطاع إلى الضفة الشرقية للقناة حيث يترصد العدو ..

أمر الضابط قائد المجموعة ثلاثة من الجنود إختارهم من أبناء «الصعيد» قائلا أنهم أكلوا من كبد الذئب ، وأنهم أكثر جرأة من غيرهم ، أمرهم بالتقدم وعمل كمين على بعد نصف كيلومتر من مواقعنا حتى إذا لمحو أفراد العدو يتقدمون نحونا ، صوبوا عليهم اليران من الخلف .

وأطاع الجنود الثلاثة الأمر فوراً ، ومشوا سريعا لتسلعهم الحشائش الكثيفة التي تنمو بعزارة حول المستنقعات والبحيرات العديدة في المنطقة التي نعسكر فيها .

(٢) بعد اليهود أن الإنسان إذا أكل كبد الذئب يكتسب شجاعة عظيمة ويصبح جسوراً .. [الناشر] .

نسيتا برودة الليل تماما ، ورغم أن القمر كان في طريقه للاختفاء ، إلا أن عيوننا كانت تحترق الظلام في حذر شديد بحثا عن العدو المتسلل ، وبين الحين والحين كنا نطلق من نادقتنا بعض الطلقات فتمزق الصمت الخيف الذي يحجم على المنطقة لم يكن هناك أي شيء يفكر فيه ، في تلك اللحظات لم يكن للموت معنى ولا راحة . قال زميلي وهو رابض خلف الرشاش :

- تصور لقد عرفت الآن فقط كيف تولد الشجاعة ..

قلت له :

- عندما تتاح لنا فرصة اللقاء بالعدو وجها لوجه سجد أننا أكثر شجاعة منه فنحن نقاتل على أرضنا والقضية قضيتنا ..
قال :

- والسلاح يعطي للإنسان ثقة أكبر بنفسه .

قلت : خاصة عندما تنطلق الرصاصات في اللحظات التي يجب أن تنطلق فيها .

كان زميلي سعيدا للغاية وكأنه اكتشف شيئا حديدا كان مخفيا في داخله . كان الضابط قائد لمجموعة يحمل سلاحه على كتفه وقد دس يديه في جيب معطفه بعد أن أحكم إغلاق كل زراره ، وأخذ في المرور على جنوده ليطمئن عليهم ، وكان كل منهم يصبح بحماس :

- تمام يا فندم .

كنا في يقظة تامة .. وأخيرا إتجه الضابط إلى أفراد الكمين المتقدم إلى الأمام وعندما إقترب من الجنود الثلاثة سمع أحدهم

همس قائلاً لزميله :

- همس .. أمسكت .

دقق النظر في الظلام فوجد الجنود الثلاثة وقد انبطحوا حول
أحد الخنادق المهيورة وصوب كل منهم سلاحه نحو الخندق ، وقد
إلى جوار أحدهم وهمس في أذنه :

- ماذا في الأمر؟؟

قال الجندي للضابط :

- تمكنا من محاصرة بعض الأعداء .. وهم راقدون الآن في
هذا الخندق خوفاً من شادقتنا .

قل الضابط متسائلاً :

- الآن؟؟

أجاب الجندي :

- منذ ساعة يا فندم ..

تشكّث الضابط في الأمر .. أخرج مصباحه الكهربائي من
جيب معطفه ووجهه نحو الخندق ثم أضاءه مرة واحدة . وكانت
مفاجأة .. فقد كان هناك أحد الكلاب في حطّوه مع أنثاه ، أطلق
الضابط بعض الطلقات من رشاشه ، جرى الكلبان ، وانطلق
الجنود الثلاثة وهم يصيحون ويطلقون تعليقاتهم الساحرة .

كانت أشعة الصباح تكسح أمامها حوافل الليل المظلمة ، لا بد
أن العدو قد خاب في مسعاه ، وتراجع أمام رصاصاتنا ، أخرج
رميلي قطعة من القماش القديم كان يحتفظ بها في جيب معطفه وراح
يمسح بها الرشاش ويريل ما علق به من التراب وتدى الليل ، ثم

أخذ يقبله في معادة لا حدود لها ..
وبعد قليل كانت الشمس قد اتخذت مكانها في السماء وكان
علينا أن نستقبل يوما جديدا.



الخميس ٢٢ يناير ١٩٧٠

تصاعدت العميات العسكرية على طول الجبهة وتزايد نشاط العدو في صرب مواقعنا في الكتبية المخاورة لكتيبتنا كان الجنود في حالة قلق لصمت مدفعيتنا ولتركها الفرصة لمدفعية العدو وطيرانه يصلولان ومجولان في المنطقة، ولم يتمالك أحد الجنود نفسه فذهب إلى ضابط الموقع في خندقه وقال له:

- لماذا لا نمتح لنيران على العدو .. والمهدف واضح جدا أمامنا؟ ...

قال الضابط

-لأنه ليس لدينا أوامر ..

قال الجندي في غضب:

- يموت الناس كل يوم من طلقات العدو ولم تأت الأوامر بعد !!! ..

ثم غاب لحظة وعاد يحمل (مخلته) ومعداته وقدمها للضابط وقال:

- هذه مهماتي فلتأخذوها وعندما تأتي الأوامر استدعوني وهم بالإنصراف.

ولم يكن سلوك هذا الجندي خطأ فحسب ، بل كان أيضا

تصرفا صيبا ضحكا منه واعتبرناه طريقة تسرى عن النفس .
ولكن جو الكتيبة ، ويخيل لي أن الجبهة كلها قد امتلأت بلغط
وكلام كثير ، كل من يذهب هنا أو هناك فإنه يأتي بأخبار عجيبة
جويس تمكنت المحاربات من كشفهم . مائق عربة الماء يقول
أنه سمع من بعض الجنود أن حنديا أطلق تسعة طلقات على صدر
صابط فقتله في الحال . عربة إسعاف تحمل حنديا أفرغ في بطنه
ثلاثون طنقة من مدفعه لرشاش .

داخل الحنادق كان الحوار ثقيلًا لأن علامات لاستمهام كانت
دائمًا ترز ضخمة ، وأمام تساؤلاتنا عن الموقف وعن ترايد نشاط
العدو الجوي ، فوجئنا في يوم من الأيام بشيخ معمم ، سمين مكتر
يرتدي الجبة والقمطان ، كان ذلك عجيبا ، قابله صابط الشؤون
الإدارية .. قال الشيخ :

- جئت لأعظ الكتيبة .. ولأعلم الجنود الطريق إلى الله ..
رحب الصابط ، والتفت إليّ لوجوم المرسوم على وجوهه ،
بنسم الشيخ ثم ضحك ، ولم يضحك أحد منا ...

عندما جاء الليل ، وتكاثفت في السماء السحب اداكة الي
استطاعت أن تحجب القمر عا ، أصبح على جنود الحراسة الليلية
أن يظلوا أكثر يقظة خوفا من تسلل العدو إلى مواقعنا . داخل
الحندق ، كان الشيخ يجلس يسا ، وكان يجيئنا صوت جندي
الحراسة وهو بصيح قائلا :

- فف .. من أنت ؟

-

- كلمة السر ١٩

ثم ما يلبث أن ينادي أهلاً يا سيد . أو سعيد أو ربما أي
حندي آخر يعرفه . ود حل الخلق كان لأبد من إشعال النار لعمل
أكواب الشاي كالعادة لكن الشيخ إلتفت لي قائلاً .
- أريد الشاي ثقيلًا .

وعلى صليل الأكواب وطلققة الحطب المحترق ورائحة
الدخان ، كنا نتحدث حول صعوبة الموقف والاحتمالات الممكنة ،
لكن الشيخ وهو يرتشف كوب الشاي قال وهو يمصمص شففيه :
- جئت لأوثق الصلة بينكم وبين الله...

قلنا: كيف؟؟

قال بالصلاة يا أولاد .. الصلاة في أوقاتها تجعل الله يرضى
عنا جميعاً وتجعل النصر قريباً بإذن الله .
قال واحد منا :

- لماذا لا نواجه العدو بصربات ساخنة .. ألا يرضى الله عنا
عندئذ؟؟...

قال الشيخ في صيق طاهر:

- يا بني قم وصلّى لله .. قم وصل أولًا .

قال آخر:

- كيف يا سيدنا نترك المدافع ونتجمع للصلاة فتحصدنا إحدى
قذائف العدو دفعة واحدة .

قال الشيخ في عصب :

- تحصدكم قذائف العدو لأن الله غير راض عنكم .
قفز جندي من بين الجالسين استشهد شقيقه في منطقة أخرى
من الجبهة وصاح في وجه الشيخ :
- يا سيدنا .. هل ترى أن كل شيء يسير في طريقه
لصحيح .. لقد جئت لتؤنينا وتحملنا نحادل من هم أكبر منا .
- يا بني عيب .. فكر في نفسك فقط .
- لماذا لا تقل كلماتك هذه لأولي الأمر ..
- يا بني تكلم في حدود نفسك وأصلح أمرك وحدك .
ويبدو أن هذا الكلام م يعجب زميلنا فقام واقفا وصاح بأعلى
صوته :

- نحن لسنا جناء يا سيدنا .. لتعلم أننا نقف للعدو بالمرصاد
ولا يفصل بيننا وبينه سوى كيلومتر واحد فقط ، نحن لا نخاف
العدو ، لكن قل لي هل رأيت تحصيناتنا ؟ .. هل رأيت الجندي
الذي تطلبه بالرجوع إلى الله وكأن حالته البائسة كفر قد تسب فيه
لنفسه .. إن هذا الحدي يقاتل عدوه وهو على أرض جرداء لا
تحميه من الشظايا ولا من ضغط الهواء الناحم عن الانفجارات ،
وهو رغم ذلك م يجبن ولم يخف . كانت المناقشة قد وصلت إلى
مرحلة الغليان

وكتنا كلنا سعداء لكلام زميلنا .. لكن ذلك النقاش لم يستمر ،
فقد قطعته صيحات جنود الحرسه على القناة وحول مرابض
الجنود تنادي بأعلى صوت :

- حرس سلاح ... حرس سلاح ...

تناول كل سلاحه وخوذته الحديدية .. وخرج من الحندق إلى
حمر الدفاع وكلمات الشيخ تلاحقهم مرتعشة خائفة :
- لا تنسوا الدعاء لله .. لا تنسوا .

لم يكن هناك شيء ، إلا أن حنود الحراسة كانوا قد اثنىوا في
حركة خفيفة بين الحشائش البرية التي تنمو بغزارة بالقرب من
القناة ، وعند المحر ومع انسحاب مवाद الليل أمام أشعة الشمس
وهي تتأهب لتطل على الجهة .. انحنوا إلى الملجأ لتنام قليلا وكان
الشيخ ممددا في أحد الأركان وقد خلع عمامته وعلا شخيرته . قال
زميل لنا وهو يسحب البطانية فوق جسده :
- إنه بذل مجهودا كبيرا له الله .

إمتدت أشعة الشمس تلهب المنطقة ، كان ليوم يوم جمعة ،
وكان كل ما يشغل بال الحنود هو تحصينات العدو القوية المواجهة
لمواقعنا مباشرة ، والتي لا تكف فيها حركة دباباته وعرباته المحنرة
منذ ساعات الليل الأولى وحتى الصباح .. لعله ينوي شيئا ما ..
وعلى كل فإن التليفون الميداني ينقل حركته خطوة بخطوة ولحظة
لحظة

في هذا الوقت كان الشيخ يعد الجامع الذي بقي قائما وحده
وسط أحربة القرية المهلومة صلاة الجمعة وعندما حان الموعد ،
جاء إلينا بوجه عابس غاصب ، وكنا نجس وراء المدافع وفوهاتنا
متجهة نحو العدو في حالة الاستعداد القسوى اقتراب لشيخ من
الصابط وقال له محتجا :

- ليس هناك جندي واحد ينوي الصلاة ؟

قال الصابط :

- وماذا أفعل؟؟

وأشار إلى المدفعية وقال :

- إنك ترى الموقف يا سيدنا .

قال الشيخ :

- فلنصل أولاً ...

لكن إشارة إطلاق نيران المدفعية كانت قد وصلت عبر 'سلاك' لتليفون الميداني

وعلا الضجيج وضاع صوت الشيخ تماماً ، فقد كانت هناك حركة كحركة النحل في خلاياه ، فالجنود وراء المدافع يتدافعون وهم يقومونها القذائف ويتمثرون في الشيع في ذهابهم وبحيثهم فما كان منه إلا أن طلع جنته وعمامته وقذفها إلى الأرض وأخذ يحمل صناديق الذخيرة ويحري ليسلمها للجندي التعمير فتطلق القذائف كالرعد وتملأ المكان بالدخان الكثيف .

وفي مواقع العدو تتحول قذائفها إلى حرائق لاهبة ، في تلك اللحظة يولد أناس جدد تشعهم الشجاعة شحذت قوة ، ويخلق الموقف منهم بشر آخرين ، وبين الدخان الكثيف والغبار المتطاير والمشع برائحة البارود الثقيلة مسرعاً يحمل أحد صناديق الذخيرة والعرق يتصبب منه غزيراً... قلت له :

- قواك الله يا سيدنا ...

فرد عليّ دون أن يتوقف :

- لعنة الله على الكافرين .. الله يقويكم الله يقويكم
يا أولادي .

الأحد ٢٥ يناير ١٩٧٠

يومياً ، عشرات الطائرات ، مئات الغارات ، آلاف القتلى
إننا هنا حلف المدافع وداخل الحنادق بصقلنا الخوف ويعلم
الموت إن وحشيتهم تشحذنا ، تملاًناً بالحقد عليهم ، كنت
أقول هذا لنفسي وجسدي المكثود متكور تحت البطانية ، كنت
أحاول النوم بعد يوم حافل بالموت والبطولة معاً ، غطيت رأسي ،
استولت علي صور الأشلاء وبقع الدماء ، نظرات الوداع في عيون
الشهداء ، هرب النوم مني ، استحضرت صورة أمي وإخوتي ،
كنت أمتجد بهم ، كنت أشعر بالنوم يلغني .

ولكن فجأة صاح جندي الحرس خارج الحندق .

- قف من أنت ؟

رد القادم :

- صديق ... القائد يطلب الطبيب .

وجدت نفسي واقفاً أبحث عن هذا الجندي في ظلام الليل ،
قمت له أنا جاهز ، اصطحبي ، نعثنا في كتل الطين وحفر
الصواريخ . وصلت إلى ملجأ القائد ، تحسباً الدرجات
الحرسانية ، نزلنا إليه ، لمحة جاز صغيرة أمامه ، تبينت ملاعقه
المكثودة وعينه الحمراء كالدَّم ، وابتسامته المرهقة ، قال مشيراً

إلى جندي يقف في خجل بجوار الحائط :

- أرجو أن تحلّ له مشكلته .

قلت للجندي :

- شرب الشاي عندي وتحدث .

تحسنا الطريق ، سقط زميلي في إحدى الحفر، تبللت ملابسه
بماء ، لم يبال ، شعرت بأنه بائس إلى أقصى حد ، لم أستطع أن
أؤجل الحديث معه ، قلت له :

- أنا تحت أمرك .. هل أستطيع مساعدتك ؟

ولكنه لم يجب ، وضعت يدي على كتفه . قلت له تكلم قد
نموت الآن ، لماذا يكتم الإنسان همومه في مكان مثل هذا ، ولكنه لم
يقنع ، سرنا في صمت ، تعرّض مره أخرى ، أمسكت به قبل أن
يسقط ، اعتدل وقرر أن يتكلم ، قال في كلمات قصيرة أنه م
يستطع أن يمارس راحته مع زوجته عندما كان في إحارته
المبدئية ، ويأبه في غاية التحل من اهتمام القائد والجنود بأمره .. ثم
قال :

- وهل هذا وقته ؟

هوّنت عليه الأمر ، وقلت له أننا يجب أن نعرف السبب في
ذلك أولا ، حصت له عني إجازة ، وأرسلته إلى طبيب في قريتنا
ليجري له التحيلات اللازمة في المستشفى الذي يعمل فيه ... عاد
بعد يومين يحمل النتيجة ، كل أعضائه سليمة ، المسألة مجرد قلق لا
أكثر

كما في هذه الأيام .. نتلقّى الموت من كل جانب، من الأرض ،

ومن السماء .. ونحن لا نملك سوى أن نصمد ونقاتل حتى آخر
طلقة وآخر رجل ، كل يوم نودع أحد دفاقنا إلى قلب الأرض التي
رواها بدمه ، والقائد على الرغم من هذا يسألني عن حال زميلنا ..
أخبرته .. قال وكأنه يلقي أمرا عسكريا :
- فلسجرب .

وأمر له احزمة .. قال له زملاؤه وهو يقفز إلى العربة :
- إياك أن نخذنا

كانت المدفعية تدوي طول الوقت ، وطبقات الأسلحة الصغيرة
تظهر بين هذا لرثير وكأنها فرقة لب . اللهب يشتعل في عديد من
الأمكن وسحب السخان تغطي مساحات كبيرة ... انحسرت
إحدى هذه السحابات ذات مرة لتظهر عربة لأجازات عائدة
ورميلا ينزل منها مطأطأ الرأس وفهمت حميما أنه لا حديد ، قال
القائد

- وما العمل ؟

قال « رقيب » أن العفريت هي التي سحرت له ، وأن هناك
في قرية شيخ يستطيع فك سحرها ، نظر إلى القائد ، حاولت أن
أحدث ، دق جرس التيفون الميداني :
- استعدوا ...

الأبدي على الزباد .. الجنود خلف المدافع المحشوة بالقذائف
- إضربوا .

قال جندي الاستطلاع :

- دمرنا موقعا للعدو ودبابتين ...

خرجت طائرات العدو تضرنا بوحشية بالغة ، وانتليفون يدق
- إصمدوا ...

طائرات العدو تكثف غاراتها .. تلقي علينا الموت بلا
حساب ... التراب والبارود يسدان حنوق ، استشهد ثمان وحرح
عدد كبير ، والشيحون مارال يدق :
- إصمدوا ...

وصمدنا .. الجميع نسوا الحياة ، ونسوا الموت أيضا . لكن
الموقف كان بالغ الكرب ، وفجأة انشقت السماء عن طائرات الميج
المصرية ودارت معركة عظيمة فوق رؤوسنا .. سقطت طائرة
للعو .. وطائرة أخرى على أرضنا .. أصيبت ثلاثة .. رقصت
تحت زميلنا . يقمر فرحا .. وهو يلوح للطائرات المصرية بقبضة
يده ...
- الله ينصركم ... الله ينصركم ...

ستمرت المعركة .. طائرات العدو تهرب ، طائراتنا تمرق
وراءها ثم تحوم عائدة ، مدفعيتنا تضرب بعنف أشد ، يسدل الطلام
أستاره على الجهة ينوقف القصف من الجانبين . سهر لعمري
بالجرحى وبدفن الشهداء وتحدث عى لاقاه الاسرائيليون في هذا
اليوم ، لقد رجحت كفتنا وحققنا تفوقا حارقا وأثنا رحولة فذة ،
سبنا مشكنة زميلنا ونسى هو أيضا مشكلته .

ولكن بعد أيام قليلة عدت عربة الأحارات لتفرغ حمولتها من
الجود الذين كانوا في أحازتهم الميدانية ، كان من بينهم زميلنا ،
كانت في يده لفاقة ، هرع إليه الجنود كأنما تذكره فجأة ، يعطيهم
اللفافة ، يفتحونها ويتخاطفون لمطائر الثلاث كالطيور الجارحة وهو

يظهر إليهم في سعادة الرقيب يبرر شرهه في إتهام الفطير ويعلم
أن الفصل له فهو الذي طلب من الشيخ أن يفك السحر أحد
الجنود يلوح في وجهه بكلنا يديه ويقول نفم مليء :
- أي سحر يا حصرة الرقيب . إنه الطيران المصري الذي فك
سحرا جميعا .

أبلغ القائد .. حضر من ملجئه .. أخذ قطعة من المطر
وقصمها ومضعها بسعادة بالغة .. ثم التفت إلى زميلنا وقال له
بوجه مشرق :

- إن روجتك تحسن صنع المطير .



الاثنين ٢ فبراير ١٩٧٠

مند مدة بعيدة والقيادة تحذرننا من تسلل العدو إلى جبهتنا ، فالعدو يخطط مند فترة طويلة لعملية عسكرية يقتحم بها مواقعها مستهدفا بذلك الدعاية ومخاطم الروح المعنوية لجنودنا .. كنا نعيش في تلك الأيام في لحظة نائمة خاصة في الليل ... وكم من النكات والأشياء المضحكة قد حدثت . ففي بعض الأحيان يسمع أحد الجنود صوت «خرفشة» بين الحشائش فنستعد جميعا ونحصر مصدر الصوت ، وبعد أن نصيب عليه الحصار يفزع كلب أو فأر ، فنضحك ونهكم عنى زميلنا ، ولكن هذا لم يقلل من يقظتنا أبدا ، وأيضا لم يمنع حدوث بعض الأخطاء ، ففي هذه الليلة صاح جندي الاستطلاع على شاطئ القناة :

— قف من أنت؟؟

قال القادم :

— أنا الضابط (...) يا بني... كله تمام؟؟

كان القادم يردد سم الضابط المسؤول عن مراقبة المنطقة التي تدافع عنها كيبتنا .. وسبب غفلة هذا الجندي لم يسأله عن كلمة السر واكتفى بأن القادم اسمه «الضابط فلان» .

نزل القادم إلى الخندق وتظاهر بأنه يتعمد الموقع ثم فاجأ الجندي

وقتله بمنجبره وقطع أسلاك التليفون وكرر المحاولة في الموقع المجاور...
صاح الجندي :

- قف من أنت؟؟

- أنا الضابط (....) يا بني... كلمة السر؟؟

- كلمة السر...

تلثم القادم قليلا ثم قال .

- أقول لك أنا الضابط (....)

- لا أعرفك... كلمة السر فقط هي التي أعرفها .

ولما لم يسمع الجندي أية إجابة إنزال عني القادم بطلقات متوالية من رشاشه ، وفي ثوان كانت المواقع كلها قد اشتعلت .. كان هالك عدد غير قليل من أمثاله قد تسللوا .. وبعد أن استشهد افراد الموقع الأول أصبح لدى العدو نقطة عبور . ودارت معركة رهية بالسلاح الأبيض والرشاشات . وشعرنا أن هناك عددا كبيرا من القوارب عبر القناة وأن الضفة الشرقية للقناة تعج بالمجترات ، إذ ذل فالعدو يتعد خطته .

كان الموقف بالغ الحرج والصعوبة ، فقد أصبح جنودنا على القناة معزولين تماما عن المدفعية في المؤخرة بسبب قتل جندي الاستطلاع وتقطيع أسلاك التليفون .. كذلك أيضا أصحبت المدفعية غير قادرة على القصف بدون توجيهات الاستطلاع .. العدو طبق خطته التعلبية في الهجوم الكاسح .. أفرادهم يتزايدون في سرعة شديدة .. حودنا يقاتلون بكل خلايا أجسادهم .. كان لا بد أن يحدث شيء قبل عبور المجترات التي أعدها العدو .. كان

لابد لدفعيتنا أن نتدخل لتحسم القتال .. قائد كيبينا يأمر أحد ضباطه الشبان أن يحمل جهاز اللاسلكي ويفتحم القتال الدائر على شاطئ القناة ويقول له:

- تعطيني إشارة الضرب أو تموت هناك .. الضابط يشق طريقه مسرعا بين الرصاص المتهاطل والشفطيا المتطايرة ثم يتحصن في أحد الخنادق على شاطئ القناة ويبدأ في إرسال إشارات .. المدافع ترأر ونهر الليل هزأ وتعرق قوارب العدو في القناة ، ثم تشعل النار في مجنزرات العدو التي كانت مربصة خلف الستر الرملي على الضفة الشرقية .. الاسرائيليون يلقون بأنفسهم في مياه القناة ، يحاولون العودة إلى موقعهم ، تستلح القناة الكثير منهم ، جنودا يقومون بعمليات تطهير سريعة . بسطع لمجر وتمقد شهداءنا .
إنهم أربعة ، جندي الاستطلاع واثنان آحرا وجندي رابع ، كان في صدره خنجر ، ولكنه استشهد وهو قابض على رقبته جندي إسرائيلي حتى الموت ، فصلتاها وأرخذه مجوار زملاته الثلاثة ، وكان النهار قد بدأ يطل على الجهة ، العدو اسحب تماما ولم يعد له أثر ، توقفت المدفعة عن القصف ، الشمس تعمر الأشياء بورها الساطع ، قوارب ممزقة في القناة ، آليات العدو يتصاعد منها الدخان على لضعة الأخرى للقناة .

جاءت حراسة النهار تستلم منا الموقع .. سلمناه لهم ورؤوسنا مرفوعة ، شسوا على أيدينا وقالوا :
- صباح الخير يا رجال .

الجمعة ٦ فبراير ١٩٧٠

أكتب هذه اليومية في قريتي...

لقد عدت تَوَّاً من الجبهة لأقضي أجازتي الميدانية بين أهلي وأصدقائي كما دتني منذ أن جندت .. وكان فرحي بلقائهم يزداد كلما اقتربت المسافة وأنا في الطريق إليهم .. ولكن في هذه المرة قد جئت إليهم بقلب مثقل بالهم والحزن .. فإرالت دماء ذلك الجندي نحضب ملابسني العسكرية وما زالت ملاعنه الرهبة النائسة تلح علىّ بحبّتي رغم الجرح النازف في رأسه ، لقد ضمدت كثيرا من الجرحى وحملت العديد من الشهداء إلى مثواهم الأخير ، لكن لم أتأثر بهذا القدر العميق إلا هذه المرة .

كنت أجلس إلى جوار نافذة القطار ، فهي عادتي التي أصر عليها كلما حصلت علىّ أجازتي الميدانية .. أحب الجلوس إلى النافذة حتّى أمتع بصري بخضرة الريف وحتّى يأسر قلبي بمناظر القرى الآمنة وهي تتلاصق مع سرعة القطار فأبئن منها تلك القرى البائسة علىّ خط النار وما حدث فيها من دمار وحتّى علىّ يد عدوا الذي لا يعرف الرحمة .. وفي هذه المرة كنت مشتتاً في أفكاري ، تذكرني أشياء كثيرة تمر أمام نافذة القطار المسرع بما يدور في حياتنا من أحداث فتحتلط معها مشاعري وأحياناً كثيرة تسقط دموعي دون أن أدري ، وفجأة سقطت قطرة من الدم علىّ يدي

التي كنت متكدًا بها على نافذة القطار.. ولم ألق بالامر أول مرة،
فمسحتها وواصلت استغراقي واستمتاعي بخواطري التي تنداعى
بسرعة تنافس سرعة القطار.. ولكن سقوط قطرة ثابئة حمزني لأن
أحاول استطلاع مصدرها، فأخرجت رأسي من النافذة ونظرت
إلى أعلى فوجدت خيطا من الدماء ينساب من فوق سقف عربة
القطار التي تطل من فوقها أطراف حذاء عسكري، وأدركت الأمر
بسرعة، فهناك جندي مصاب فوق القطار، أصابني الذعر
وصححت بمن حولي أن يطلبوا من المسؤولين عن القطار إيقافه بأسرع
ما يمكن، لاستحلاء الأمر، وحضر المسؤولون بسرعة وعانوا الدماء
والحذاء العسكري المفل من فوق عربة القطار، ولكنهم أصررو أنه
من المستحيل إيقاف القطار إلا في أقرب محطة وإلا حدثت كارثة
للقطار القادم على نفس الخط علاوة على قتلنا أيضاً.

وأجمع الناس على أن الجندي الموجود على سقف العربة قد
ارتطمت رأسه بسقف أحد القاطرات التي يمر تحتها القطار، وأنه غالباً
قد مات. وظل اللغط على أشده حتى توقف القطار، فقلت
للمسؤولين عن القطار أنني طبيب وطلت منهم أن يسمحوا لي
بالصعود معهم إلى سقف العربة لعلني أستطيع عمل شيء إذا ما
كان هناك أمل.

كانت رأس الجندي مهشمة إثر اصطدام قوي مع جسم
صلب.. وكان قد فارق الحياة تماماً ولم يكن هناك على سطح
القطار كله غيره. كانت ملابسه كلها عارقة في الدماء.. حملناه
إلى المحطة وسلمناه إلى الشرطة العسكرية التي بدت في حرد
محتويات ملابسه في محاولة للتعرف على شخصيته، وأخذ أحد جنود

الشرطة العسكرية يسجل هذه المحتويات - مندبل - علبة شجائرها
ثلاث سجائر - سبعة عشر قرشاً - بطاقة عسكرية.

بطاقة عسكرية رقم...

كتيبة رقم...

لاسم..

بطاقة شخصية رقم.

لمهنة : فلاح.

محتويات أخرى مندبل - ثلاثة سجائر - سبعة عشر قرشاً
- ختم - بريقة.

وعندما شاهدت الرقعة في يد حندي الشرطة العسكرية صلت
منه أن طلعني عليها وقرأت :

« احضر حالا ... والدك توفي ».

مددت يدي بالورقة لحندي وذهبت ألقى نظرة على ذلك
انفارق في دماؤه وصفرة القطار ، وعدت إلى مفعدي أسمع حدث
اناس عما حدث ولا أحد معني لأني كلمة تقال ، ولم أعد أرى رعم
عيني المنوخين لا الأشجار ولا السيوت التي كانت تطل عليها نافذة
القطار .. هه كان حجم الحزن أكبر من أي شيء ، وتركر في
خاطري سؤال .. أترى هذا الوطن العاسي على أناءه المخلصين ..
أيمكن لحد الوطن أن ينهض ؟ إن الأمر كله مرهون بفيل من الرحمة
يمكن أن تغد عالماً بأكمله.

الأحد ١٥ فبراير ١٩٧٠

فيتنام الصغرى .. كيف الحال صدكم ؟ وتكون إجاتنا ، إننا
نقاتل في الليل والنهار ، نحن نعيش حياة قتالية حميمية ، فامنطقة بين
«القطرة» و«الكاب» ملهبة تعيش على دوي الانفجارات ،
وتلون سماءها سحب الدخان السوداء ، الحشائش التي تنمو بوزارة
في المنطقة أطرافها دائما محترقة بفعل قنابل لنا بالم ، بحيرات كثيرة
صنعتها قنابل الطائرات ، أصبحت عادة يلحظها الجميع ، عندما
تتحرك إحدى عربات الجيب في وضع النهار ، فإنك تجد قائدها
وقد فتح باب العربة وتعلقت عباءه بالقضاء المحيط حتى إذا لمح
إحدى الطائرات المعادية اتجه بالعربة داخل الحشائش مخفيا ،
حتى الجنود يحذرون المشي في تجمعات كبيرة ويفهمون كيف يثبت
الهندي في مكانه دون حركة أو ينجني تحت إحدى الأشجار حتى
تنهي غارة الطيران المعادي .

رغم ذلك فقد عبرت إحدى وحداتنا المقاتلة قناة السويس إلى
الضفة الشرقية في منتصف الليل . شرأبت فوهات المدافع
واشرأبت معها رؤوس المقاتلين تربع بلعدو حتى لصباح ، كنا في
الضفة الغربية للقناة على أتم استعداد للاشتباك بالمدفعية لحماية
زملائنا الذين عبروا القناة ، وفجأة أطلقت قواتنا في سبيل القلائف
الصاروخية وطلقت المدافع الرشاشة والبنادق الآلية كسيل غير

منقطع ، الدم يغلي في عروقنا نكاد نظير ونقمز في الفضاء لنلحق بهم... رقعة اللهب تزداد والدخان الكثيف يتصاعد بكثرة .. أسلاك التليفون ليديني لا تكف عن الصراخ .. دمرت دبابة .. اثنتان .. خمس دبابات تم تدميرها بأفرادها ، العدو يطلب النجدة ، طائرات « الميراج » يصل بعد ثوان ونصب على رملائنا الذين عبروا جحيماً من البران بطلقات « الفيكروز » ، وكانت مفجأة حين عادت القوة كاملة من بين اللهب دون أن يصاب أحد منهم بجراح ، بالأحصان والقبلات تقابلنا ، وقالوا يريد أن نكل ، أحضرنا لهم الحز والجبن والشاي ، وجلسنا نتحدث عن تلك اللحظات الرائعة في حياة المقاتل وأسطورة الجدي الاسرائيلي الذي لا يقهر ، وفجأة نساقطت قذائف « الهاون » الاسرائيلية بالقرب منا . سقط البعض ميتاً وأصيب البعض الآخر ، كنت وحدي الذي يعرف الاسعافات ، جريت حاملاً لنقلات وحقيبة الاسعاف ، قلبت الجثث الملقاة ، ضمدت جراح البعض ، كان هناك حندي ذا إصابات بالغة ، لم أستطع تضميد جراحه لأنه قد أصيب بتهتك في الحوض وكسر عميق في فخذه أيضاً ، وعندما هممنا بالتحرك بالعربة إلى المستشفى الميداني ، كان بعض الخنود يتجمعون حول أحد النقباء وقد راح جسده يرتعش بشدة اصططحبناه معنا .

الاثنين ١٨ يونيو ١٩٧٠

لم نحدد صعوبة في إخراج جثتي الشهيدين اللذين دفنا تحت قتال الطائرات المعادية ، لحيثان محزقتان لكننا لمعنا كل جثة داخل بطانية ماعدا الحذاء فقد كن بطل من فتحة البطانية في استرخاء تام ، وعلى الرعم من ذلك فقد بدأت الدماء الحمراء تفتح لون البطانية الرمادي وتصنع محمرها عيون الرملاء ، شعرت باحزن بطل ثقيل من كل المآتي ، تسمرنا حول الحسدين الممددين على الأرض دون أن يقدر أحد منا أن يحرك لسانه بكلمة واحدة . أو أن يرفع بصره عنها ، كما صديقين ، عندما كنا نحس أن بلهوه كن تثير معها الشغب ونضحك كثيرا من تعليقاتها وبكائها التي لا تهدد ، بعد كل اشتباك كنا يحولان كل ما حدث إلى فكاهات لادعة ، كانت لديها قدرة غريبة على ذلك ، بل إنه كان يكفي أن يرى أحدهما قادم من بعد حتى نغرق في الضحك ، وفي الليل كان يكفي أن نسمع صوتيهما حتى يحدث نفس الشيء ، من يراها كان يحزم بأنهما ولدا معا رغم أن أحدهما كان مسلما والآخر مسيحيا ، وعلى الرعم أنهما لم يلتقيا إلا في الخندق ومذ عام واحد ، لم نكن نعرف عن حياتهما الكثير سوى أن أحدهما كان يحمل دبلوم تجارة والآخر دبلوم معلمين ، وكان كل منهما يعول أسرته بعد موت والده ، وربما كان هذا هو الذي يوحد بينهما ، ورغم أن حياتهما كانت

مذكرات جندي مصري ١٠٩٥

صعبه إلا أنها كانتنا أكثرنا مرحا وكأنا لم يعرفنا الألم قط ..
نظرت إلى قطع الطين الكيرة الملتصقة بحذاءيها البارزين من
تحت البطانية.. تذكرت ثباتها وراء المدفع ، كما قد ألقها قذيفة ،
وعندما طلب منها قائد الموقع أن يحتفيا في الخندق قبل أن
تصل الطائرات .. أصرا على أن تنطلق القذيفة أولا ، ولكن
الطائرات المعادية كانت أسرع .. قال أحدا وكأنه يعزينا ..
.. كانا بطلين . على الأقل لم يفرا مثلا فر حندي التعمير في
الكثبة المجاورة .

لم نجد هذه الكلمات شيئا ، وكان العالم قد توقف ، الكل غارق
في الحزن ، حتى الدموع تجمدت ، وفجأة استدار أحد الجنود
وقذف كلنا بحجر ، وكان الكلب ينش في أكوام التراب والطين
الضخمه التي صنعها القنابل ، عاد الكلب مرة ثانية لتشتم نفس
المكان ، تعجب الحندي وقده بحجر آخر ، قلت في نفسي لعل
حاسة الشم لقويه لدى الكلاب تنبئ هذا الكلب عن وجود
شيء ما تحت أكوام الطين هذه ، أمرت أحد الجنود أن يكشف
عنه في نفس الموضع ، وأخذت أرقه وهو يقذف بالطين عاليا إلى
أن إصطدم خاروفه بحسم حندي إتصح لنا فيما بعد أنه خودة
جندي آخر مدفون تحت التراب . ولكن يبدو أن ذلك قد حدث منذ
ثلاثة أسابيع على الأقل بحاله الجثة تؤكد ذلك ، لا أحد يستطيع
اتعرف عليه ، فليست هناك بعد هذه المدة ملامح ، مددت يدي
في جيب سترته وأخرجت بظافته العسكرية وقرأت اسمه بصوت
عال ، لعل أحدا يعرفه .. وهجأة صاح أحد زملاء

- إنه من الكثبة المجاورة لنا . إنه جندي التعمير ..

وفي ملهات الأوراق العسكرية ، كان قد تم التليغ عن
هرب هذا الجندي من الميدان وكما نحن نسخر من زملائه ونعايرهم
به اذا ما اُخطأوا أهدافهم عند الاشتباكات . كانت في يده قبضة
من طين الوطن ، وبحوار اليد الأخرى قذيفة فارعة ، أحيرا انك
أسر دموعنا وسالت نجرف الاحران من قلوبنا ، رجع كل منا رأسه ،
وكان الأوز البري يخلق رغم كل شيء أبيض ناصعاً في عنمة الغسق
كقلوب الجنود في تلك اللحظة ، فقد اضاءت قصة
رميلنا حدي التعمير ، قضت على ما علق بها . وهتف بدخلي
هاتف :

– بيلو أننا أكبر مما نظن ..

تم اعداد العريه .. تمحدد الشهداء الثلاثة جنباً إلى جنب ، وفي
الليل تحركنا إلى مقابر الشهداء لنتم احراءات الدهن في الظلام حتى
لا تفاجئنا طائرات العدو ، في دقائق نهي كل شيء ، وقبل أن
نقفل عائدین تحسنا شجرة في سواد الليل أخذنا منها ثلاثة أغصان
حضراء ووضعناها على قبر كل منهم وأدينا لهم التحية العسكرية .

الأربعاء ٥ أغسطس ١٩٧٠

في الجبهة يولد الانسان الجديد ، يولد بين اللهب ، وأمام
رصاص البنادق الآلية، وشظايا الدانات والقنابل ، ونحت
طائرات العدو المغيرة ، هنا يجب على الإنسان أن يتخذ موقفا
واضحا محمدا ، إما أن يخاف ويجن ، وإما أن يقف في شموخ ، دون
أن تهز منه شعرة واحدة ، وفي الجبهة شاهدت ميلاده مع
الاشباكات ليوميه بينا وبين العدو ، هذا الانسان الجديد الذي
علمه الرصاص كيف يكون الوطن هو حبه الأكبر وكيف يحمل في
قلبه مشاكله وهمومه ، وما هو الحق ، وكيف يكون الواجب .

إن اللحظة التي يعيشها الانسان بين اللهب ونحت الخطر هي
التي تخلقه من جديد ، هي التي تجعله يلقي بحباته الرتيبة المزهقة لينتقم
في الخنادق الترايبه ومحروب طلعة السبل احنالكه ، ويعود أذنيه على

بترت صواريخ الطائرات المعادية ذراعيه ، فثبت قدميه على المدفع وأسقط إحداها. إنني أذكره جيدا ، وأذكر أيضا ذلك الحندي الذي كان يحمي مؤخرة العبور ورفض أن يسجوا بجيانه بعد أن اكتشف العدو خط انسحاب رملاته وأصر على حاية ظهورهم واستشهد في قاع القناة ..

ماذا بعد أن يتزف الدم منا .. علينا أن نواصل القتال .. هل يموت الانسان مرتين ، إنها مرة واحدة وميتة واحدة . فمع تصاعد الموقف يتزايد الرجال الشجعان وتشتد حماسهم للقتال . هذه المجموعة من الرجال التي عبرت القناة إلى الضفة الشرقية كانوا يقبلون الأرض ، ظلوا أكثر من خمس ساعات يتحرشون بالعدو حتى هوحثوا بطابور من المدرعات المعادية ، ورغم أن اسلحتهم وذخيرتهم كانت بسيطة لم يترددوا . اشتبكوا مع تلك المدرعات ودمروا منها دبابتين وعربتين نصف جتير وعربة جيب .. كانوا يصبحون .

الله أكبر .. الله أكبر ..

وبين النار المشتعلة كانت طائرات العدو تبحث عنهم ، إلا أنهم عادوا جميعا ملا جريح واحد وهم يقبلون بعضهم بعضا .. ويقولون :

— لو كات هالك ذخيرة أخرى .. لأبدنا طابور المدرعات عن آخرة هنا وراء كل خبر عسكري قصة لإنسان ولد من جديد على لحيه ، إنسان يعرف كيف يحب وطنه ، ويعرف معنى الواجب ..

ويدرك اللحظة التي يقرر فيها شيئاً للوطن، ولذلك فإنساننا الحديد
لا يهمه الرصاص ولا ما تردده إذاعات العدو.
إن المقاتل على الحبهة يثق بأن حل مشاكل الوطن الداخلية
والصراع ضد الاستعمار هو بآنزيد من القتال.



الجمعة ٧ أغسطس ١٩٧٠

منذ أن وطأت قدمي أرض الميدان وحقيقتي التي تلازمي دائماً
عشوة بالورق والخطابات الجديدة ، كنت أحب اللون الأزرق
الفاتح ، وكنت أستريح وأنا أكتب عليه رسائلي ، فهو يذكّرني
دائماً بصفاء السماء، التي كان اللهب والغيار الأسود خلال
الاشتباكات الدامية مع العدو، يصفها بلون آخر يختلف معه الرؤية
لكل الأشياء .

كانت رسائلي الميدان لها شكل خاص في حياتي ، كنت كلما
ضقت ذرعاً، وكلما أكلني الحنين والشوق للأهل والأصدقاء ،
تناولت الورق والقلم وأخذت من داخل الملعأ أو الخندق والشمس
تلفحني بهجيرها أكتب رسائلي .

أحياناً أخرى كنت أهد متعة شديدة وموانسة حقيقية وأنا أعيد
قراءة بعض الخطابات التي كانت نصلي من الأهل والأصدقاء ،
كان القصص مستمرا والانفجارات لا تكف عن الدوى ، وكتل
العبار والدخان تحيل وجه السماء الأزرق إلى صفحة متسحفة
ومغبرة ، كنت حينئذ أتساءل .. متى يعود وجه السماء إلى ررقته
الصفافية لتحو من حديد على كل شيء في بلدنا المرقع بالجريح ،
وتعود لي الذاكرة إلى ذلك اليوم الذي حمّني فيه القطار الحربي نا
ومهاني متجهة إلى احبة ، وإلى تلك الرعشة التي هزت جسدي

وحقق لها قلبي هلعاً من آثار القنابل والحرائق والدمار الهائل، الذي كانت عربتنا العسكرية تحاول بصعوبة شق طريقها من خلاله، حتى تصل بنا إلى مواقعها الحربية المواجهة لخطوط العدو مباشرة ، رأيت الحقيقة في لحظات سريعة ، العلم الاسرائيلي يرفرف على أرضنا .. تلك الليلة كان طوها ألف عام من حساب الرمس . سقطت مي تلك الحماسة المتدفقة ، وحضرتني كلمات كت قد قرأتها للشاعر السوفيتي أيلبا سيلفسكي ...

فلتصمط الكلمات

وليتكلم البارود

البارود وحده

وكان علي أد أقطع الطريق على أحلامي الرومانسية وهواجسي الأدبية ، وأن أحتل موقعي في الخندق وأعد سلاحى وأحشوه بالذخيرة ، وأن تكون رسائلي هي جزء من رصاصات سدقيتي .. كانت الجبهة مثل الأتون تزداد يوماً بعد يوم في السخونة والتوتر ، والحياة يتدفق فيها الدم الساخن ، ورغم ذلك تعمنا كيف نجد الحنان والبسمة .. مع حرارة المعارك كانت الرسائل هي الأخرى ساخنة وملتهبة .

جبهة القتال في ١٥ أبريل ١٩٦٩

والنداي العزيزان

نحية ساحنة سخونة الحبة ، وأرجو أن تطمئنا علي وأن تكونا راضين عما قد يحدث لي ، لا أحب أن يتأبكما الفلق علي ، فالآية الكريمة تقول (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) .

في الاشتباكات الأخيرة بالمدفعية الثقيلة دمرنا للعدو موقعا من
مواقع الحصينة المرموقة فبالتنا على الضفة الشرقية لقناة
السويس ، وتعجبوا مثلما تعجبنا نحن هنا لحسائرتنا ، فقد كانت
باتهام والكمال حماراً كان الملاحون قد تركوه يرعى وكلين قنتها
شطابا القذائف الطائشة ، كما تهدمت بعض المنازل الطينية، والتي
قاومت من قبل عدوان يونيو، حسائرتنا في الأرواح قليلة.. اطمئنا
علي.

ابكم المقاض بالجبهة

وكانت فرحتي لا تقدر عنده فاجأني مندوب البريد بالوحدة
وهو يقذف إلى مجموعة من الخطابات أرسلت إليّ في وقت
واحد .. فصصتها واتخذت مكانا في أحد الملاجئ القرية وأخذت
أقرأها واحد واحدا .

المنصورة في ٥ مايو ١٩٦٩

صديقا العزيز

وصلتني كلماتك الحادة والقاطعة مثل طلقات الرصاص على
اجبهة عندكم كما أنصوّر . لا أملك شيئا أستطيع أن أحدثك عنه
فأنت تعيش حيث توجد الحياة .. وحيث يكون للزمن قيمة ..
نحياتي وأرجو أن تكون في أحسن حال ..
نحياتي للأخوة الجنود رفاق الميدان ورفاق السلاح .

صديقك المخلص

مفكرات جندي مصري • ١١٧

طويت الرسالة في عناية تامة ودسستها في جيب سترتي
العسكرية وأنا أحس بالزهو ، ولكنني عندما ففضفت الرسالة التالية
تعجبت .. ماذا يكون قد حدث حقيقة .

القاهرة في ١٢ مايو ١٩٦٩

عزيزنا

أرجو أن تصلك هذه الرسالة وأنت حي ترزق ، الآن كل
الأسرة وأن الأصدقاء لا هم لهم غير تقصّي أنائك ممن هم معك
أحيان ومن البلاعات العسكرية أحياء أخرى .. إذا كنت على قيد
الحياة فارسل إلينا أي خطاب حتي نطمئن ..

أخوك

لم أملك دموعي وهي ترحف ساحنة على وجهي حينما لمحت
هذا الخط المتواضع على ظهر لرسالة الثالثة .. انه خط والدي ..
وماذا يا ترى يتصورني الآن وماذا يفكر بشأني .. وأخذت أقرأ .

المنصورة في ٢٠ مايو ١٩٦٩

ولدنا العزيز

كيف حالك .. لماذا لم تحضر في موعد احازتك الميدانية ، لقد
نعب المأر في عينا ونحن لا نعرف عنك شيئا الآن . الجرائد
والراديو تذيع كل شيء عن الاشتباكات والحرب عندكم ، أرجو
أن ترسل لنا بأسرع ما يمكن ما يطمئنا عليك وخاصة الوالدة التي
لا تحب لها دمة منذ سمرك .

والدك

كان قد مضى أكثر من عشرة أيام بعد أن طويت هذه الرسالة وأرسلتها بالبريد الميداني .. وكان الهدوء قد بدأ يسود الجبهة بشكل ملحوظ . وتوقف العدو عن اشتباكات الليل كما توقف عن الاستطلاع بطائراته أثناء النهار ، لقد كانت فترة لالتقاط الأنفاس ، وذات ليلة طال لي لسير و كنت قد أعددت على الموقد الذي كان قد صنعه زميلي د. ظر إحدى المدارس الابتدائية بالصعيد ، من طلفة فارعة لإحدى الفدائف ومن علب الصفيح الفارغة ، كنت قد أعددت كوباً من الشاي ، وقررت وأنا أرتشف الشاي الساحن أن أكتب على مهل هذه الرسالة .

الجبهة في ١٠ يونيو ١٩٦٩

لأصدقاء الأعزاء

تحية قلبية حارة

لم أكن أنوي أن أكتب اليكم الآن لولا حصول زميلي حامل هذه الرسالة على إجازته الميدانية والسبب هو أن الحياة على الجبهة قد أصبحت مملة بعض الشيء ، منذ أسبوع تقريبا والجو هادئ حتى الأسحة الصغيرة توقفت عن الاشتباكات مع العدو ، الجنود يعيشون في ملل عجيب ، لا يجدون ما يمكن أن يشغلوا به أوقاتهم ، لذلك فكثيرا ما يتجولون في أراضي العلاحين المروعة بالصبيخ ليقطفوا الثمار قبل أن تنضج ، كما يفتطفون تمسار الرمان وهي خضراء صغيرة . ويجلس كل منهم بعد الأيام عدا حتى يتحرك الزمن ويحين موعد إجازته الميدانية . وقد كاد الملل أن يسبب علي أيضا لولا مجموعة الكتب التي أقرأها الآن حول قضية العدوان سنة ١٩٥٦

وعدوان ١٩٦٧ .. وحقيقة لم أجد فارقا كبيرا بين الحرين سوى أن
الشعب في عدوان 1956 أقبل كالسيل للمقاومة الشعبية في
بورسعيد وأن لعمال كانوا يعملون لمواجهة أعماء الجبهة . وفي عدوان
١٩٦٧ فإن الملل مثل لكابوس دخل كل بيت وتربح فيه وهو كثيرا
ما يزورنا في مواقعنا العسكرية .



الجمعة ١٤ أغسطس ١٩٧٠

كانت فترات الصمت على الجبهة تفتح أمامنا أبواباً أخرى نقضي الوقت فيها .. كنت ارتدي معطفي العسكري وأحكم أزراره وأتحول بأطراف بحيرة لمنزلة ، وأحياناً بين حطام البيوت المهدمة والمحترقة ، لكن الصمت إنعجز وما لشت الحيلة أن اشتعلت بشدة ، وعادت السخونة إلى حياتنا من جديد ، وعاد لكل شيء قيمته مرة أخرى لأن جاءتني رسالة .

وانتابني شعور بالذنب كنت أود أن لا يفكر في أحد .. كانت تتابني لحظات الاشتباك إحساسات طليقة أنني وحدي أتحمل مصيري أمام الحرب ونخاطرها ، لكن هذه الرسائل كانت كالسحر الثقيل على صدري ، جعلتني في كل خطوة أحصوها بمصرني ولم كامل عن الأهل والأحباب والأصدقاء ، ويجعل لكل خطوة أخطوها ألف حساب .

حاولت أن أكتب بعد الظهيرة ، لكن اشتباك المدفعية الدائر منذ الصباح بصفة متقطعة قد أسفر عن إصابة بعض الجنود ، فنتضميد جراحهم وقلت لنفسي على أن أؤجل الكتابة حتى قنوم الليل .. وعلى ضوء أقراص الوقود لجاف أخذت أكتب وكنت قد استرحت قليلاً ..

الجبهة في ٣٠/٥/١٩٦٩

والدي

الحقيقة . . ان الحياة هنا صعبة للغاية ، وتمنعي هذه الصعوبة من الانتظام في الكتابة إليكم ، فالعدو يكتف شتاكاته هذه الأيام ، وقد كنت اتفقت معكم على أن ما يمكن أن يحدث لي سوف يكون قصاء الله ومشيشه ، ويربيني أن تعلموا جميعاً أنني في غاية السعادة حيث أشعر بأني أؤدي واجبي نحو وطني وبحركم ، أرجو يا والدي ألا يكون عطفكم عليّ بضعفني فأما أتألم وأتعبد لأبي أحسن أنكم دائماً قلمون علي ، وأصدقكم القول أن العدو لا يحرك شعرة واحدة في رأسي ، ولكن ما يؤلني ويشعر له بجسدي ، وتسيل الدموع حارة وملتهبة من أحنه هو خوفكم عليّ وقلمكم من أحلي

أرجو أن استمد منكم القوة

ابنكم المقاتل بالجبهة

للمصورة في ١ أغسطس ١٩٦٩

أخي المقاتل على الجبهة

أرجو أن تكتب خطاً لتطمئن والدتك لأني كثيراً ما أراها حزينة عليك يا أخي . فاملاً أنت فيها بالشجاعة ، أرجو يا أخي عندما تذهب لتسريح أن نجيب على هذه الأسئلة .

١ - لماذا تزايدت عارات اسرائيل عما كانت من قبل

٢ - تقول اسرائيل أن ٢,٥ مليون اسراييلي سيهزمون دائماً

الـ ٢٠٠ مليون عربي هل هنا صحيح يا أخي ؟

أخوك الصغير

السنة الأولى إعدادية

ووجدت متعة أن أتناول الأوراق وأن أكتب إلى أخي رداً على تساؤلاته .

الجبهة في ٥ أغسطس ١٩٦٩

أخي الصغير ..

اختلست بعض الوقت لأكتب لك وأرجو أن تقبل أسفي لأن الورقة التي أكتب لك عليها ورقة متسحة وقدية فقد وجدتها في كراسه تلميذ هاجر من القرية التي تحتل مواقعنا اطلالها، وعندما متكبر مثلي وتكون رجلا يمكن أن يستفيد منه الوطن، منعرف أن الفترة التي نعيشها الآن هي أحسن الفترات تاريخيا ومصريا ، فمحن شعب فقير يشتري بنقوده القليلة أسحة ليحارب بها إسرائيل ، قاعدة الاستعمار الأمريكي المتوحشة في وطننا العربي ، ولكي نحارب الاستعمار ونهزمه يجب إلى جانب حمل السلاح أن نبنى الاشتراكية في بلدنا ، وبناء الاشتراكية يحتاج إلى رجال يعكرون من صعرهم من أجل مصر ، همومهم هي الوطن وهي العدوان والتحلف والفقير ، لا بد أن تقرأ كثيرا عن تاريخ الشعب المصري وكماحه حتى تكون لك يد في بناء مستقبله .

أما عن الاشتباكات مع العدو ، فقد أصبحت غالبا تقع بالليل ، فعندما ينتصف الليل يطلق العدو قذائفه المضئية كالشمس

ثم نهال قذائمه المتفجرة على مواقعنا من مدفعيته ، وهذه الأيام
تحدث عندنا حسائر قليلة لأننا كما قلت لك في إحدى الماضية
نختبئ في الخنادق ، ونترك حسائنا في الكلاب والحيوانات الطليقة
والأشجار التي تنساقط .

إن الأبطال الحقيصون هم الذين يحملون السلاح الآن
ويتحولون على طول فناء السويس ليصدوا العدوان عن الوطن، وهم
الحدود وراء مدافعهم يصبون كل يوم وائلا من القنابل والقذائف،
التي تشعل الحرائق الالامية في مواقعهم عند كل اشتباك ، وهم
أيضا هؤلاء الأطفال الصغار الذين كتبوا على الجدران الطينية
المهدمة، في القرى المهجورة على حط القنات، كتابات كثيرة ليقولوا
(النصر لنا - القناة لنا - يسقط الاستعمار الأمريكي). وعندما أقرأ
هذه الكلمات يشرح صدري لأن الصغار في مثل سنك يفهمون
المعركة أيضا.

تحيات قتالية ساخنة
أخوك المقاتل

عودتي تجربتي في الميدان بين الجرحى والمصابين والشهداء .
أن أنظر للحياة بشكل آخر .. فالخزن يجب أن يكون عابرا ويجب أن
يمكر الإنسان بشكل آخر أمام تلك الأحداث فتتحول عواطف
الخزن عنده إلى طوفان من الحقد على العدو ومحيط شامع من الحب
الصافي للوطن .

الحبة في ٦ أغسطس ١٩٦٩

عزيزي

تسألني في خطابك باستغراب عن الجرحى والشهداء وكيف لا يشيب شعر رأسي لنظر الأشلاء والقتلى، ولا أكتمك أن قلبي هارال بحير ولم يتحول إلى حجر أصم بعد، ولكن الحرب يا صديقي تفرص علينا حقيقة جديدة، وهي عندما تسقط الأشياء العالية التي يتفاخر بها الإنسان رمن السم تحت قدميه في لحظات، وعندما لا يصح هناك شيء ذا قيمة يمكن أن يخاف عليه الإنسان، عندئذ يكون الوطن هو الأب والأم والإبن والحسية، هو كل شيء، وأمامه مهون تلك النصحيات مهما كبر حجمها ويصح لكل شيء معنى جديداً لم نعتاده من قبل.

تسامي إلى سمى الآن أعنية عبد الوهاب القديمة (في الليل لما خلّى) كم تهزني هذه الأعنية وتشعربي ببلادنا وهي تجتاز الطريق وسط ظلمات دامسة، إنها تحتاج إلى ملايين الشموع، ألسن محققاً في ذلك؟؟

تحياتي من أرض الميدان .

صديقك المقاتل

دخل العدو بطائراته إلى جانب المدفعية الثقيلة ، وزاد نشاط قواتنا الخاصة في العود إلى مواقعه ، وكان القلق يسيطر علينا تماماً ، فأحست ارسال الخطابات ، واستغرقت في عمليات نقل الجرحى والإسعاف ، وذات يوم جاءني مندوب البريد يحمل إلي مجموعة من الخطابات التيها في حقبة الإسعاف ، وفي الليل وبعد عاء يوم

طويل مرهق مددت جسدي على الطنينة ورغم انقصف المدوى إلا
أني كنت في شوق أن أسمع كلمات معيدة عن السلاح وعن العدو،
وفضضت الرسالة في يدي وأخذت أقرأ:

المتصورة في ٨ أغسطس ١٩٦٩ .

صديقي المقاتل ..

وصلتني كلماتك الحادة والقاطعة كطلقات الرصاص .. شعرت
بدوخة وأنا أقرأ الرسالة ، وخجلت أن أرد عليك ، وتأخرت
لذلك في الرد ، ولكن لا مفر ففلي يدق بعنف وأنا أتجملك في
الميدان ، إنك رجل دائما وأتمني أن تكون في أحسن الأحوال ،
تجباتي للإحوة جنود الميدان ورفاق السلاح .. أريد أن أقول لك
كلاما كثيرا ، لكن الكلمات تعجز وتصح هزيمة عندما تصلك في
أرض لغتها الدم والبارود .
صديقك المخلص

ثم فضضت الرسالة الثانية . كان الخطاب منسحا ولم أعهد
الحظ المدون عليه من قبل ، كان بداخله صورة لمجموعة رهور
حمراء قرأت

ميدان القتال

أحي المقاتل

كل سنة وأنت طيب

المصر لمصر ..

أيها البطل العزيز الرابض على خط التمر .

أحوك الصغير

طالب بالسنة الرابعة الابتدائية

احتفظت بهذه البطاقة وهداني تفكيري أن ألصقها على
جدار الملجأ حتى لا يغيب عن ذهني ذلك الطالب الصغير الذي لا
أعرفه .. ثم فضضت الرسالة الثالثة . وكانت تحوي أكثر من مائة
توقيع بأقلام مختلفة رصاص وحبير أزرق وأحمر .. واقتربت من
ضوء السهاري وأخذت أقرأ في شغف ومتعة .

المطربة في ٧ أغسطس ١٩٦٩

صديقنا المقاتل

نحية حارة مغلصة

من أحد المواقع الثورية بالجهة الداخلية التي تؤمن بعدالة
قضيتنا وحققنا في الحياة معها قدمنا في سبيل ذلك من تضحيات ،
ومن قلب كل شيخ وشاب وفناة ، بإسمنا جميعا نحن الدارمين
بمشروع محور الأمية، نشد على أيديكم ونضالكم بالمزيد من الضربات
للإستعمار ، دافعوا أبها الأبطال عن حق الشعب العربي في البقاء
والحياة الكريمة ، متضامنين مع الشعوب الحرة التي تكافح الإستعمار
- كوريا - كوبا - فيتنام التي دفنت رأس أمرك في التراب ، وإنا
لنعاهد جنودنا على الجبهة أننا مستعدى مصر بالروح والدم وبكل ما
هو غال وعزيز.

مشروع محور الأمية بالعصافرة - المطربة

مارالت الدنيا بخير طويت الرسالة بعناية . انقصف يزحف من
مكن آخر .. جندي الحراسة الليلية أطفأ الترانزستور وقفز في الخندق
مسرعا وهو يقول أن الصائرات المعادية تقصف قريبا من .. قلت له
تخندق وترقب ما يحدث . ثم فضضت الخطاب الأخير .

النصورة في ٩ أغسطس ١٩٦٩

صديقي

أحسست بالحجل عندما تسلمت رسالتك من ساعي البريد
خجل مبعثه عدم الرضا عن نفسي ، خجل لإحساسي أنني أبتعد
عنك وأنت رغم هذا البعد تذكرني ، أتم يا من تذودون عن
حياتنا ، كيف ننساكم ونتصرف إلى مشاكل الحياة السطحية ،
هذا هو حال شباننا اليوم يا أخي ، فشتان بين ما عندكم من مخاطر
وبين ما نحن فيه من عدم الاكثراث ..

صديقك المخلص

طلعت الرسائل جميعها وكومتها تحت طرف البطاية، ثم تمددت
وعطيت رأسي ببطايه أخرى، وقد سرحت فكري في بلدتنا، وراح خيالي
يحوم شوارعها ، وفلي يسألني متى تصبر الأيام وتعود لمصر
سماؤها الصافية المشرقة . فتسترد قواما أساءها الراقدين على رمال فتاة
السويس ، لتأنس بهم وترتاح إلى جذرائها الطينية أرواحهم ،
ونفرح البنات والنسبايا برجالهن الذين عادوا منتصرين، وطلّ خيالي
بحرج طليق في كل الأماكن الحبية ، ويمسح بالحنين وجوه الأهل
والأصدقاء، إلى أن رحت في النوم .



الخميس ١٩ سبتمبر ١٩٧٠

مرت الأيام بسرعة .. وكنت قد تعودت أن أقضي الوقت دون ملل ، كما عودتي الأيام أن أحرص على زملائي في الميدان ، وأن أحرص على الاتصال بعائلي كلما حان الحين ، وفي هذا اليوم كنت عائدا للتو من إجازتي الميدانية وقررت حريا على عادتي أن أكتب لوالدي لأطمئنه .

الجبهة في ١٩/٩/١٩٧٠

والدي المحترم

وصلت بسلام إلى الجبهة أرجو أن تطمئنوا أعرفكم أن إجازتي القادمة ستكون ابتداء من ١٤/١٠/١٩٧٠ عشرة أيام كاملة ، الجو هاديء كما يبدو ، حالتي النفسية جيدة ، ويساعدني عن ذلك قراءة بعض الكتب التي أحملها معي . أرجو أن نفي بوعذك معي لحل مشاكل البيت وأن تحضر لهم القمح المطلوب وأن تحل مشاكل الصغار حتى أستريح .

ابنك

وفي يوم ٢٥/٩/١٩٧٠ كنت قد خرجت في إحدى العربات العسكرية لاحتضار أدوية وتعليمات طبية للوحدة وكان القدر لي

بالمرصاد ، ففي الليل ونحن نسير بعربتنا على الطريق الموازي للقناة
فوجدنا بطائرات العدو تسقط قنابلها علينا ، اصطدمت عربتنا
بأحدى العربات التي كانت تهر مذعورة وأصبت في عظامي بكسر
أرقدني في صندوق العربة ، دارت برأسي صور عديدة ، كنت
أمشي لموت ، وكانت صورة أمي بجثم على صدري لا تفارقني ،
جاءت عربة الاسعاف لنقلنا إلى مستشفى الإسماعيلية الميداني ،
وهناك أفقت بعد أن نحسست أصابتي وتأكدت أنها غير مميتة ومن
هناك كتبت رسائل من جديد .

المستشفى الميداني بالإسماعيلية في ١٩٧٠/٩/٢٧ .

صديقي المقاتل

طبعاً علمت أنني قد أصبت في حادث العربة مساء ٧/٤ مع من
أصبحوا شريحة عارات العدو الليلية، وكنت أصابتي بعض الجروح
السطحية وكسر بعظمة الحوص، ولذلك فقد تقرر نقلي إلى مستشفى
« القصاصين » ومنها إلى القاهرة .

أحي كان في العربة شطة تطهير جماعية كنت قد استلمتها
لوحدة و (وابور) الجار الخاص بي ومجموعة من الكتب الخاصة
بالإسعاف أرجو أن تبحثوا عن هذه لأشياء وأن تحفظوها .
أخوك المقاتل

وبعد أن تماثلت للشفاء جاءتني تلك الرسالة القصيرة

الجبهة في ١٩٧٠/١٠/٧

صديقنا المقاتل

تمنياتنا الطيبة لك بالشفاء ، وصلتنا رسالتك ، بحثنا عن

حاجتك ومعداتك وحفظها لك ، أما المعدات الأخرى مثل
الشاي والسكر والملح وظروف الخطابات ومواس الحلاقة فقد
أخذناها للاستعمال وإنشاء الله بعد خروجك من المستشفى
منعوضك عنها .

المقاتلون

كنت قد نقلت إلى مستشفى الدمرداش للمزيد من الراحة .
وجاءني بعض الزملاء أثناء إجازتهم الميدانية وأبوعوني أن مهاتي قد
فقدت .. فأرسلت هذا المكتوب .

مستشفى الدمرداش في ١١/١٠/١٩٧٠

الأصدقاء الأعزاء

نقلت إلى مستشفى الدمرداش للمزيد من الراحة ، وصلي
أحد اخود من الوحدة وأخبرني أن البطاطين قد فقدت ، هل هذا
معقول ، وأبصا علمت أن (وابور) الجاز قد سُرِق هو الآخر ،
أهذه مكافأتي .

شكراً لكم ،

زميلكم المقاتل

وكان الرد عجيباً .

الجبهة في ١٥/١٠/١٩٧٠

صديقنا المقاتل

تمنياتنا لك بالشفاء العاجل

مرسل لك هذا الخطاب حتى لا تسأل عن مرتك هذا الشهر
فبعد حسابات عديدة كان الصافي لك هو صفر أبعثه إليك في هذا
الخطاب وذلك ليس بيدي وربنا يعلمها ،

عريف المآليات

كنت قد قررت بعد ذلك أن أكف عن الكتابة للوحدة ، لكني
كنت قد تماثلت للشفاء تماماً ، وبدأت رحلة العودة ، حسنت
حقيبي وركبت القطار الحربي إلى الجبهة، وجلست بالقرب من
النافذة ثم القيت برأسي على حاجز الكرسي الخشبي العتيق ومع
ضربات عجلات القطار الرنينة على شريط السكة الحديدية، دارت
في مخيلتي تلك الصورة ليلة أن وطشت قدماي أرض الجبهة لأول
مرة ، هل ستكون الجبهة قد تغيرت كثيرا ، كيف حال الأصدقاء
والزملاء ، من يا ترى قد أصيب ، ومن يا ترى قد واره التراب ،
وداخل حقيبي كنت قد اطمأنتت على أنني قد حشوتها بالأوراق
والخطابات الجديدة ، وعلا الضجيج في عربة القطار حينما صاح
بائع الكتب والرسائل معلنا عن رسائل الحين والأصدقاء ،
ومارعت الأيدي تطلب الرسائل ، وغمرني الحين وعصف الشوق
بقلمي ، ولكن القطار الحربي كان ينهب الطريق مسرعا إلى الجبهة .

الأحد ١٦ أغسطس ١٩٧٠

في أول الأمر كما نخجل من زملائنا المقاتلين في الجبهة عندما كانوا يسألوننا عن تسليحنا ، كما نقول لهم ونحن نعرف مسبقا باستهزائهم .

- مدفعية ٢٥ رطل

قد كان هذا السلاح من مدفعية الحرب العالمية الثانية ، قديم ، يدائي ، قصير المدى ، صعب التشغيل ، وهناك الآن 'سلاح أكثر خطرا وزئير منه متفرقة على امتداد جبهتنا ، وكنا نستطيع أن نميز صوت مدافعنا من أصوات المدافع العديدة الممتدة من ورائنا على طول خطوط القتال ، وكان لا بد لكثيبتنا أن تأخذ مكانها بالقرب من القناة حتى يكون لمدافعها العتيقة المدى المؤثر في مواقع العدو الممتدة أماما

ومرت الأيام ، ورائنا أن كثيبتنا تحتل موقعا من أهم المواقع الدفاعية في منطقتنا، وأن علينا بمدافعنا القديمة أن نكون رجالا وأن ننفذ تعليمات القيادة بأن نصمد في أماكننا مهما كانت ظروف الاشتباك مع العدو ، فقد كانت القيادة تعلم بالطبع مدى الفارق الكبير في التسليح بيننا وبين مواقع العدو المواجهة لك .

وكانت منطقة «الكاب» من المناطق التي تقع في دائرة

دفاعاتنا ، وكم من مرة حاول العدو العبور من هذه المنطقة وأغرقت مدافعنا القديمة في قاع القناة .

و ذات ليلة وبعد أن كثفت طائرات العدو غاراتها الوحشية على المنطقة .. وركزت نيرانا كثيفة على مواقعنا وحول كل ملجأ من ملاحي الأفراد ، حتى أصبح من الصعب أن يفكر الإنسان في الحياة تحت كثافة نيران العدو ، ورغم ذلك فحينما أراد العدو في تلك الليلة أن يعبر بقواته من المنطقة التي تحميها مدافعنا القديمة ، دقت أجراس التليفون الميداني وتناولت الأيدي بثبات سماعات التليفون .. وجاء صوت جندي الاستطلاع يقول :

.. العدو يعبر من منطقة الكاب .

وقتها اختفت كل الهواجس ، وفي لحظة كان هناك صوت قائد الكتيبة يأمر الرجال من خلف المدافع :

.. أضربوا حتى آخر طلقة من أحل زملائكم على القناة ..
إنجحت الفوهات على الفور صوب مواقع العدو وانطلقت منها القذائف متتالية عيفة ، واحتل الرجال الآخرون مواقعهم في ملح البصر في الحنادق وفي الخفر التي صعدتها قابل الطائرات المعادية، يصبون من بنادقهم ومن رشاشاتهم وابلا من الرصاص ، وصوت القائد ما زال يهتف من التليفون الميداني :

.. اضربوا حتى آخر طلقة .

كنت طائرات العدو تلي على مواقعنا شحنات وحشية من اقنابل، وتصربنا بالصواريخ المتتالية دون توقف أصيب عدد من مدافعنا .. واستشهد عدد من رجالها ، وأصاب اليأس عدداً آخر من أفراد المدافع الباقية، وهما بالتراجع .. صاح قائدهم

.. من يتراجع موقف أضره بالنار فورا .
عادوا إلى مواقعهم واستبسّلوا مع بقية زملائهم .. ولكن
الطائرات المعادية لا تكف عن إلقاء حمولتها المميتة على رؤوسنا
حتى بلغت القلوب الحناجر والقائد ما زال يصيح :
- اضربوا .. اضربوا حتى آخر طلقة

إنتابتنا روح من الجنون .. لم يعد يهمنا شيء .. سينا الدنيا
كلها، ولم يصبح أماننا سوى العدو الذي يريد قهرا وإختراق
مواقعنا .. كان الجنود يشهزون فرصة انطلاق طائرات العدو وهي
تحمّ لتعاود الصرب من جديد .. ليعاودوا حشر مدافعهم بالقذائف،
ويطلقونها قبل أن تعود الطائرات .

لقد أصبحنا نحن والمعركة جسدا واحدا . ولم ننتبه إلى أن
مدفعيتنا القديمة أغرقت زوارق العدو ، وأن جحافلها كانت قد
فرت عن آخرها .. لم ننتبه لذلك إلا بعد أن توقفت الطائرات
عن الظهور فوق رؤوسنا .. ولم نهم حتى الصباح . كانت المدافع
ما زالت مشرّبة الأعناق ، وحضر القادة مع طلوع أول ضوء ،
التقوا بجمود مجموعة من مدفعيتنا ، كانت عيونهم حمراء وما زالوا
يلهثون من التعب ، ريت القائد على أكتافهم وقبلهم، ووضع على
صدر كل منهم شارة ابصولة ، وكنا نحن حينما نركب أو نتجول في
المنطقة ويسألنا أحد من أي سلاح أنتم كما نتحاشى الإجابة على
هذا السؤال خوفا من السخرية ولكننا الآن نقول باعتزاز:

- مدفعية ٢٥ رطل ..

فنحن الرحان الذين جعلناها تساوي وتواجه أعتى الأسلحة،
وبمسالتنا وإيماننا صارت هذه المدافع القديمة سلاحا ماضيا فعلا ..

وأصبح زملاؤنا على حط الدار عندما يعرفون سلاحنا هذا يقولون :
- رجال حقيقيون

كنا فخورين حقاً .. وكان الجنود سعداء لدرجة غير عادية ،
وكان منظرهم مؤثراً للغاية وهم ينظفون مدافعهم القديمة ويلمعونها،
ويضبطون معداتها استعداداً لقتال قادم لا بد منه .. وأخذوا يربتون
على فروعها بختان وحذب وكأنما قد أصبح لهذه المعدات الفولاذية
قلب يحس ويعلم ويستجيب لصاحب الحق الذي يبحث عن حقه
ولا يخذله .

وفجأة وبعد ستة عشر شهرا من القتال المتواصل .. وكنا قد
تعودنا الحياة تحت اللهب المستعر، وألما زئير المدافع ودوى
القذائف ، جاءنا الأمر بالتحرك والعودة إلى الخلف .

وفي الليل تحركت العربات تجر المدافع ، وارتدينا نحن معاطفنا
الصوفية اتقاء لبرد الليل القارس ، كنا نشعر ببعض الحزن ، ولكنه
سرعان ما أصبح حزنا مقبضا ثقيلاً، عندما علمنا أن مدافعنا القديمة
الحسنة سوف تخرج من الخدمة بعد أن أمكن تسليحنا بسلاح جديد
متقدم .. كانت لحظات اختلطت فيها مشاعرنا وقبلنا تلك المدافع
قل أن نغيب عن عيوننا كما يقبل الأح أخاه .. وملأت الدموع
عيون الكثير منا، وهي تحتني في ظلمة الليل خطف العربات
العسكرية .. ألم نحم كرامتنا ؟ .. ألم تستجب لجيراننا ؟ . ألم تعطنا
خير ما لديها ؟ .. يجب أن يكون الاسان وفيا حتى للصخر ليكون
جديرا بالحياة .

وقبل أن تغادر الموقع، وقفنا لحظات من الحزن العميق والصمت
على أرواح شهدائنا التي فاضت في هذا المكان، ونذكرنا جرحانا

الراقدين الآن تحت السلاح .. وقتلنا دون أن ننطق .. إننا دائما
سنكون رجالا كما كانوا هم تماما .



الدكتور أحمد حجي

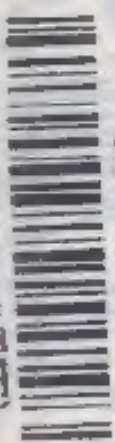
- استشهد في جبهة القناة عام 1972 أثناء ما سمي بحرب الاستنزاف.
- ولد عام 1941، بقرية ميت جراح بمحافظة الدقهلية.
- تخرج من كلية الطب البيطري عام 1967.
- جُند بالقوات المسلحة عام 1968، وكان يتولى الشؤون الطبية في الكتيبة التي خدم بها في الجيش المصري على جبهة القناة حتى استشهاده.
- افتتح في قريته «سندوب» الملاصقة لمدينة المنصورة بالدلتا، مدرسة لحو أمية الفلاحين والعمال والنساء، وكان التدريس يتم في هذه المدرسة بواسطة الدارسين أنفسهم بعد أن دريهم وأعد لهم الكتب والمناهج الدراسية بنفسه.
- أصدر لهم، وبمعاونتهم مجلة «حائط» ظلت تصدر لمدة عشر سنوات متصلة كل 15 يوما، ما بين 1958، 1968، وفي آخر مراحلها كان طولها 20 مترا، وارتفاعها أربعة أمتار.
- صدرت له مجموعة كتب، منها «الكلمات والبارود» عن «أدب الجماهير» حيث تولى صداقته وتلاميذه تحمل نفقات نشر الكتاب و«الفلاحون والعمل السياسي» ومحو الأمية عمل لا يبد منه» ومنعت الرقابة صدور كتابه «مذكرات جندي مصري» عام 1972.
- كان مؤمنا بالاشتراكية العلمية، ومناضلا عنيدا من أجل تطبيقها لإلغاء استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.
- كان مجندا في مكان آمن بالقاهرة ولكنه طلب بنفسه الذهاب إلى الجبهة.
- له مقالات كثيرة في الثقافة والفن ومحو الأمية نشر أغلبها في مجلة «الطلعة».

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٨/١٨٧١

طبع بدار المدينة المنورة
١١٤ شارع مجلس الشعب ت : ٣٩٠٩٠٣٠

053
92
154

А.А. Александров



0695469

